



دراسات

النخبة السياسية الإيرانية وسوريا:
مسارات متوازية نحو الهدف ذاته
إنقاذ «محور المقاومة»
والحفاظ على العمق الإستراتيجي

إسكندر صادقي بروجردي
باحث رئيس - وحدة الدراسات الإيرانية
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ترجمة
ماريا المنجد

إنقاذ «محور المقاومة» والحفاظ على العمق الإستراتيجي

النخبة السياسية الإيرانية وسوريا: مسارات متوازية نحو الهدف ذاته

إسكندر صادق بروجدي
باحث رئيس - وحدة الدراسات الإيرانية
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ترجمة
ماريا المنجد

٢
٣
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
دراسات : النخبة السياسية الإيرانية وسوريا مسارات متوازية نحو الهدف
ذاته إنقاذ «محور المقاومة» والحفاظ على العمق الإستراتيجي.
/ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. - الرياض، ١٤٣٦هـ

ص ٥٢ : ١٦،٥ × ٢٣ سم

ردمك: ٦-٥٩-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

١- ايران - العلاقات الخارجية ٢- ايران - الاحوال السياسية -

العصر الحديث أ.العنوان

١٤٣٦/٥٠٧٦

ديوي ٣٢٧،٥٥

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٥٠٧٦

ردمك: ٦-٥٩-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

ملخص الدراسة

تحاول هذه الورقة وصف المواقف العامة والخاصة للنخبة السياسية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية نحو نظام الأسد والحرب الأهلية السورية منذ ثورة عام ٢٠١١م، وما تلا ذلك من تطورات حديثة في المنطقة مثل قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام. وتقسم هذه الورقة إلى ثلاثة أجزاء تحاول فيها شرح الخلافات، والجهود التكميلية، وتقسيم العمل داخل وبين مؤسسات الدولة الإيرانية المتعددة وجهاً لوجه مع الملف السوري.

الجزء الأول: يقيم المسار الدبلوماسي مع التركيز على اقتراحات وآراء حكومة روحاني ووزارة الخارجية.

الجزء الثاني: يناقش عدداً من البيانات العامة للولي الفقيه سيّد علي خامنئي، بالإضافة إلى تلك الخاصة بزمرته من المستشارين الموثوق بهم.

الجزء الثالث: يفصل دور الحرس الثوري الإسلامي في سوريا، ودوره المحوري في تقديم المشورة والتدريب للقوات الموالية للأسد، وكيف ترتبط هذه العملية بالاستراتيجية الإقليمية العامة تجاه العراق والشام بشكل خاص. وفي النهاية، تحاول هذه الورقة مناقشة بعض الآراء المتجددة عن مؤسسات الدولة المختلفة، وكيفية تعاونها وتنافسها في بناء الإجماع النخبوي، والمساعدة في توضيح لعبة النهاية للجمهورية الإسلامية وخطط الطوارئ في سوريا في المستقبل.

إخلاء مسؤولية:

إن الآراء المعبر عنها في هذه الورقة خاصة بالمؤلف، ولا تمثل آراء مركز الملك فيصل للأبحاث والدراسات الإسلامية.

شكر وتقدير

يود المؤلف تقديم الشكر لناصر مهاجر، والدكتور نادر هاشمي، والدكتور محمد إدريس، وأحمد لقراءتهم المسودة الأولية لهذه الورقة. كما يود شكر زملاءه في قسم البحوث في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٧	مقدمة
١٠	مراكز القوى وبناء الإجماع النخبوي وصياغة السياسة الخارجية
	الجزء الأول
١٤	الحكومة ووزارة الخارجية ودعم الحلّ السياسي
١٧	خلاف النخبة حول استعمال نظام الأسد الأسلحة الكيميائية
١٨	هل يجب حجب طهران من المشاركة السياسية على الصعيد الدبلوماسي؟
١٩	انتقادات ظريف الملائمة
٢٠	الخطاب الأسدي عن الإرهاب، وصعود (داعش)
٢٤	الخطة الرباعية للجمهورية الإسلامية الإيرانية: طريق إلى الأمام
	الجزء الثاني
٢٨	الولي الفقيه آية الله علي خامنئي ومكتبه
	«الصحة الإسلامية» ضد «الربيع العربي»
٣١	«المنحدر الزلق» والمخيف: من حملة مكافحة الإرهاب إلى «تغيير النظام»
٣٢	إعادة إنتاج مذهب نيكسون من دون أهداف خفية أو طائفية سياسية متجذّرة
	الجزء الثالث
٣٥	الحرس الثوري وقوة القدس.. العمق الاستراتيجي الحتمي
٣٧	الاتفاق الزائع حول النظام: أيرحل الأسد أم يبقى؟
٣٨	هل أصبحت سوريا فيتنام إيران؟
٤٤	كثرة الميليشيات الطائفية: هل هي كروت للعب في موازين القوى؟
٤٦	هل ضاق الحرس الثوري الإيراني من انعدام الكفاءة العسكرية السورية؟
٤٩	الخلاصة

مقدمة

أصبحت إيران وسوريا حليفين على إثر الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، التي خُلع فيها الشاه محمد رضا بهلوي، وقد أثبتت هذه العلاقة ديمومتها الملحوظة على الرغم من التعارض الأيديولوجي الظاهر للتحالف الذي عُقد بين حكومة دينية شعبية شيعية ودولة عربية قومية/بعثية راديكالية^(١). وبقيت أهمية هذه العلاقة الإستراتيجية الأساسية أمراً مسلماً - به مع ولادة الثورة السورية عام ٢٠١١م، ثم تدهورها إلى صراع أهلي كامل - ضمن النخبة السياسية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية. بالطبع توجد أولويات مؤسّساتية وجداول أعمال مختلفة تحكم الآراء في الوضع السوري في وزارة الخارجية والحرس الثوري على سبيل المثال، لكنه أمر متوقّع.



الرئيس حجة الإسلام علي خامنئي يزور دمشق للقاء الرئيس السوري حافظ الأسد في سبتمبر ١٩٨٤، Mashregnews.ir

١- جوبين جودارزي، سوريا وإيران: التحالف الدبلوماسي والقوة في الشرق الأوسط، (لندن: إي. بي. توريس، ٢٠٠٦م)، الفصل الأول.

تمّ ترسيخ هذا التحالف وحفظه على مدى عقدين - بوصفه محوراً للمقاومة - مع حزب الله اللبناني (الذي له تمثيل سياسي برلماني) والذي عمل على إبراز نفسه بوصفه قوةً تعديليةً تكافح الوضع الراهن، وتعارض إسرائيل إقليمياً، وتعارض السيطرة الأمريكية على الصعيد الدولي. اعتمدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية وحكم الأسد في العقود الماضية على قوة الإقناع تارةً، والإكراه تارةً أخرى؛ لتقوية علاقاتها وتأثيرها في الإقليم، وهذا الأمر بدا لكثير في العالم العربي تحالفاً (غير طبيعي) أو (غريباً)^(٢). وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها الدول الغربية والإقليمية، مثل: تركيا، والمملكة العربية السعودية، لفصل دمشق عن طهران إلا أن اعتماد سوريا على الجمهورية الإسلامية الإيرانية وحزب الله اللبناني، وتعاونها معهما، ازدادا عمقاً خلال حكم بشار الأسد، الذي بدأ عام ٢٠٠٠م، وهو وريث غريب وغير متوقّع بكلّ المقاييس، وتتقصه البراعة التي كان يمتلكها والده في موازنة القوى الإقليمية^(٣).

لم يكن هناك غنى عن المساندة الإيرانية والروسية السياسية والاقتصادية واللوجستية والعسكرية منذ المراحل الأولى للثورة السورية لبقاء نظام الأسد، ومنحه القدرة على تفادي الانهيار^(٤)، وامتدت هذه المساندة وتعمّقت مع امتداد الأزمة^(٥). وعلى الرغم من تزايد نسبة الطائفة العلوية في نظام الأسد في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، وتكوينها الطائفي المتزايد علانيةً، خصوصاً في الجهاز الأمني، بعد حادثة مدرسة المدفعية في حلب عام ١٩٧٩م، ومجزرة

٢- انظر: ناديا فون مالتزان، المحور السوري- الإيراني: الدبلوماسية الثقافية والعلاقات الدولية في الشرق الأوسط (لندن: إي. بي. توريس، ٢٠١٣م) الفصل الأول.

٣- إيميل حكيم، الثورة السورية وتحطيم بلاد الشام، (نيويورك: روتليدج، ٢٠١٣م)، نسخة كيندل، ص ١٨٧٥ من ٣٦١٧.
٤- أصرّ على هذه النقطة مسؤولون رفيعو المستوى من داخل الحرس الثوري الإيراني وخارجه. والتأكد من صحة هذه المعلومات بالكامل يتطلب بحثاً مستقلاً. «مشاور رهبرى: اگر ایران پای سوریه نمی ایستاد بشار سقوط می کرد»، كلمه، ٢٥ فبراير ٢٠١٣م، <http://cutt.us/NxUEt> و «صفار هرندی: ایران پای سوریه نمی ایستاد بشار سقوط نمی ایستاد»، انتخاب، ٢٤ فبراير ٢٠١٣م، <http://cutt.us/t9SX>. حجة الإسلام مهدي طائب هو إحدى هذه الشخصيات، وهو الشخص ذاته الذي قام بتصريح مثير للجدل قال فيه: «إن سوريا هي (الولاية الخامسة والثلاثون) لإيران، وولاية إستراتيجية لنا. فإذا هاجمنا أحد، وأراد الاستيلاء على سوريا أو خوزستان (الأهواز)، فالأولوية هي الحفاظ على سوريا». إسكندر صادقي بوروجردی، «قائد القاعدة الإستراتيجية في عمار: سوريا هي الولاية الخامسة والثلاثون لإيران، خسارتنا سوريا تعني خسارتنا طهران»، المونيتور: نبض إيران، ١٤ فبراير ٢٠١٤م، <http://cutt.us/J2Wfk>.

٥- روبرت فيسك، «إيران ستبتع ٤٠٠٠ جندي لمساعدة قوات الأسد في سوريا»، ذا إنديبيندنت أون سانداي، ١٦ يونيو ٢٠١٣م، <http://cutt.us/kbOHP>.

حماة الشهيرة في فبراير عام ١٩٨٢ م^(٦)، إلا أنه من الخطأ القول: إن هذه الأمور كانت المحرك الأساسي للمحور الإيراني السوري، حتى وإن أصبح ذلك -نتيجة للحرب الأهلية السورية- نبوءة ذاتية التحقق. كانت فتوى الإمام موسى الصدر -اللبناني، والإيراني المولد- التي تنص على ضمّ الطائفة العلوية إلى الشيعة الاثني عشرية^(٧) فتوى غير مقنعة، لكنها كانت تناسب السياسة، وتشكل (المنطق السليم) الذي انطلق منه المحللون الذين يؤكدون على أن طبيعة الصراع طائفية في جوهرها. وتبقى الأولوية لدى طهران هي استباق حدوث تغيير جوهري في موازين القوى في الإقليم، إن لم يكن منعه، ويبدو أن الحفاظ على نظام الأسد في هيئته الحالية يحتل مرتبة ثانوية^(٨)، ويمكن إدراك هذه النقطة من الخطاب العامة لمسؤولي النظام، حتى مع حرصهم على عدم إبعاد حليفهم، أو إضعاف سلطته علانية^(٩).

هناك أحاديث خافتة في أوساط مؤسسة السياسة الخارجية الإيرانية عن عدم قدرة الجمهورية الإسلامية الإيرانية على مساندة حرب الأسد الاستنزافية إلى أجل غير مسمى، وأن سوريا دولة منهارة، ومن غير المتوقع لها في شكلها الحالي أن تستعيد السيطرة، وأن الطريق أمامها طويل وضبابي. وذهبت إيران إلى الاعتراف بأن حلاً مستديماً يمكن أن يتحقق فقط من خلال عملية تشارك فيها جميع الجهات الفاعلة الدولية والإقليمية والمحلية للتوصل إلى حل سياسي متعدد الأطراف، ويبدو بذلك أننا نشهد انضماماً إلى فكرة الجمود، وأن الحل سيبقى بعيد المنال إلا إذا قدّم الأسد تنازلات نوعية. لكن من وجهة النظر الإيرانية ستظل الشروط التي ستحكم أي نوع من أنواع هذه الحلول أمراً حاسماً، والأمر الشاغل لهم

٦- يجدر بنا ذكر أنه لم يستفد جميع العلويين من سخاء الدولة بشكل متساوٍ، وأن بشار وماهر الأسد تزوجا من عوائل سنية. بالطبع، قد استفادت القبائل والعوائل المرتبطة بالأسد، مثل مخلوف، ونتاج من ذلك تحرير اقتصادي مفترس مبني على المحاباة والمحسوبية والميراث، إلا أن هذه النتائج لا يجب أن تُعمم على الطائفة العلوية كلها؛ لأن الطبقة البرجوازية السنية من تجار حلب كانت -على الأقل تقليدياً- أساسية في استقرار سوريا، والحفاظ على قوة الأسد. رافائيل لوفيفر، رماد حماة: الإخوان المسلمون في سوريا (لندن: أوكسفورد يونيفيرسيتي بريس، ٢٠١٣م)، ص ٧٣؛ ريموند هينيوش، سوريا: الثورة من الأعلى (لندن: روتليدج، ٢٠٠٤م)، ص ١٦٤٩ من ٤٧٣٥؛ كارولين دوناتي، «اقتصاديات الترقية السلطوية في سوريا: تحرير وإعادة تشكيل الشبكات الاقتصادية»، في السلطويات الشرق أوسطية: الحكم، والطعن، ومرونة النظام في سوريا وإيران، تحرير: ستيفن هايدمان، وريوند ليندز (ستانفورد كاليفورنيا: مطبعة جامعة ستانفورد، ٢٠١٣م)، ص ٧٨٨ من ٦٢١٣؛ تشارلز جلاس، «في سوريا التي لا نعرفها»، نيويورك ريفيو أوف بوكس، ٦ نوفمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/ZrA1>.

٧- مارتن كريمير، «العلويون والشيعة السوريون»، ساند بوكس، <http://cutt.us/zoBE5>، تم نشره في الأصل في الشيعية، والمقاومة، والثورة، تحرير: مارتن كريمير (بولدر كولورادو: ويست فيو بريس، ١٩٨٧م)، ص ٢٣٧-٢٥٤.

٨- بسام بريندي وتايلر جيس تومبسون، «صديق والدي: تحكّم إيران في بشار الأسد»، أتلانتك كاونسل، ٢٨ أغسطس ٢٠١٤م، <http://cutt.us/jKLT>.

٩- «چرا حزب الله در سوریه دست به کار شد»، دبلوماسی ایرانی، ٢٨ مايو ٢٠١٣م.

- بالطبع- كَوْن هذه الشروط ملائمةً للمصالح الإيرانية. من هنا تتبع أهمية موازنة القوى، وإيجاد (حقائق) على الأرض لأيّ إستراتيجية إيرانية تؤدي إلى عملية دبلوماسية، وسأحاول التعمّق في هذا الأمر على نطاق أوسع من خلال هذا البحث. ومع ذلك، يجب التشديد على أن أيّ تحليل مبنيّ على موادّ مفتوحة المصدر هو تحليل محدود في قدرته على تسليط الضوء على السياسة الأمنية الوطنية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكذلك في سوريا. وعلى الرغم من ذلك سأحاول إعطاء توضيح بسيط عن وجهات نظر النخبة في إيران فيما يتعلّق بالثورة السورية والصراع المدني الذي امتد إلى ما يقارب أربعة أعوام ماضية.

يتعلّق النزاع الذي يفصل المنافسات المؤسسية المتعددة للنخبة الإيرانية ويحرّكها -كما هو الحال في كثير من الأحيان- بالوسائل، والنهج، والتكتيكات، عوضاً عن الإستراتيجية والمادة^(١٠). هذه الاختلافات قد يكون من الصعب إدراكها تلقائياً؛ مثل: المرحلة النهائية لطهران في سوريا، والأحداث التي لا تزال تتكشف في سوريا والعراق. ويجب هنا أن تُؤخذ ميوعة الوضع، واستحسان طهران هذا الأمر، على محمل الجدّ، لكن يجب أن نشير أيضاً إلى أن الاختلاف في معالجة الأمور ضمن مؤسسات الدولة لا يعني أبداً وجود منافسات مؤسسية أو منافسة عدائية أيديولوجية، بل يعكس -إلى حدّ ما- تقسيم العمل داخل الدولة، الذي يرقى إلى تنسيق السياسة على مسارات مختلفة، بما فيها العسكرية والدبلوماسية. ومن المنصف قولنا: هناك إدراك مُجمع على أن (خسارة) إيران سوريا سيكون ضربةً قاسيةً لتأثير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في بلاد الشام، وتوازن القوى الإقليمي، وقدرة إيران على إبقاء عمق إستراتيجي خارج حدودها. هذا الأمر لن يؤدي إلى إضعاف قوة إيران فيما يتعلّق بدول مجلس التعاون الخليجي فحسب، لكنه سيعطلّ قدرة طهران على مقاومة تهديد تعدّي الهيمنة الإسرائيلية والأمريكية الأقرب إلى المنزل، سواء أكان ذلك حقيقياً أم وهمياً.

مراكز القوى وبناء الإجماع النخوي وصياغة السياسة الخارجية

حتى نفهم مسارات السياسة البارزة التي تعتمدها الولاية الإيرانية في سوريا، وإن لم تكن مباشرة، يجب علينا أن ننظر إلى المؤسسات المختلفة المرتبطة بالمستويات السياسية والدبلوماسية والعسكرية. وبشكل عام، فإن كلّ واحدة منها تدير (سلطةً) معينةً ضمن

١٠ - انظر الفصل السادس من: بينتي شيلر، حكمة لعبة الانتظار السورية: السياسة الخارجية السورية في ظلّ بيت الأسد

(لندن: هرست، ٢٠١٣م).



«الصحيفة الإيرانية، هفت صبح، وضعت اللواء قاسم سليمانی من قوة القدس بجوار ظریف، وزير الخارجية، مع التعليق التالي: «أعظم من يتولى العاصمة الإيرانية؛ بشأن رجلين أساسيين في مجتمعنا اليوم وأسمائهما الأكبر هو ثقة الأمة». 7sobh.ir»

مفهوم الدولة، وتشرف عليها، ولديها ثقافتها المؤسساتية، ومعاييرها، ورأيها العالمي الخاص بها. هذه المؤسسات لديها القدرة على التعاون، والاختلاف، والمنافسة على رأس المال في المعنى العام الذي وضعه عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو⁽¹¹⁾؛ فبعضها ليس منفصلاً تماماً عن بعض، ولا تخلو من التداخل؛ فمثلاً: الولي الفقيه هو أيضاً قائد للثورة الإسلامية، لكنه يستطيع تأدية دور إرشادي. والمؤسسات الأبرز هي:

- مكتب ولاية الفقيه: سياسية ودينية/ السلطة التنفيذية والسلطوية.
 - الرئيس والحكومة، وزارة الخارجية- الدبلوماسية/ دبلوماسية عامة/ قوة الإقناع.
 - الحرس الثوري، قوات القدس- الجيش/ قوة الإكراه.
- ويمكننا القول بإيجاز: إن الولي الفقيه آية الله السيد علي خامنئي يقف في قمة سلم النظام، وهو الحكم النهائي في السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهو معروف في الدستور بوصفه قائد القوات المسلحة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويعد نظرياً أعلى

11- بيير بورديو، «أشكال رأس المال»، في كتيب: النظرية والبحث لسوسيولوجيا التعليم، تحرير: جون جي. ريتشاردسون (نيويورك: جرين وود، 1986م)، ص 241-258.

سلطة سياسية ودينية في البلد^(١٣)، وهو الذي يقوم بتعيين رئيس الحرس الثوري الإيراني، وذراع عملياتها الخارجية قوات القدس، التي يرأسها اليوم قاسم سليمان، الملقب بـ(قائد الظل)^(١٣). أما رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية حجة الإسلام حسن روحاني، فقد تمّ انتخابه مباشرةً (مع العلم أن مرشحي الانتخابات لا يتم قبولهم للترشح إلا بعد أن يتم فحصهم والموافقة عليهم من قبل الهيئة الدينية ومجلس صيانة الدستور). ويعيّن الرئيس وزير الخارجية، ويجب أن يُصادق عليه مجلس الشورى الإسلامي، ويشغل منصب وزير الخارجية حالياً محمد جواد ظريف، الذي حصل على تعليمه في الولايات المتحدة الأمريكية، ويُعرف بلغته الإنجليزية الممتازة، وأسلوبه المباشر مع الإعلام، وتاريخه الطويل دبلوماسياً محترفاً. ويعدّ كلٌّ من روحاني وظريف معتدلين ونفعيين في دوائر النخبة السياسية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولدى كلٍّ منهما خبرة دبلوماسية واسعة؛ فقد شغل روحاني منصب رئيس المجلس الأعلى للأمن القومي خمسة عشر عاماً، وعمل ظريف سفيراً لإيران لدى الأمم المتحدة. ويعمل كلٌّ من الرئيس ووزير الخارجية -في التحليل النهائي- ضمن قيود التوجهات السياسية الأوسع التي يحددها مكتب ولاية الفقيه، والسياسة العسكرية التي يتبناها الحرس الثوري الإيراني وقوات القدس، وبإمكانهما المشاركة والقيام بدور بناءً في حلّ تقاوضي محتمل للصراع فيما يتعلق بالتدخل الإيراني، وهو ما يساعد على دفع خامنئي إلى اتجاه معين، لكنهم يخضعون في النهاية لموافقته، وإجماع أعلى مستويات الحرس الثوري الإيراني، وقد يحدث ذلك -على سبيل المثال- إذا كان توازن القوى العسكرية مواتياً بشكل خاصّ، أو فيه ضرر لحليف إيران في دمشق، أو في حال تسوية مريحة تتادي بها قوى العالم وتُراعي مصالح إيران. هذا الموضوع سنعود إليه مراراً وتكراراً؛ فطهران تدرك أن الحلّ الدبلوماسي ضروريٌّ على المدى البعيد، لكن الظروف وموازين القوى التي بموجبها ستبدأ أيّ عملية من هذا القبيل هي الحاسمة.

النطاق الذي سيعقد فيه أيّ إجماع نخبوي ضمن المؤسسة الإيرانية سيكون في سياق المجلس الأعلى للأمن القومي (شورای عالی امنیت ملی)، إضافةً إلى مشورة الولي الفقيه، ومستشاريه، والأعضاء النافذين في لجنة الأمن القومي في مجلس الشورى^(١٤). وكما ذكر روحاني في مذكراته (الأمن القومي والدبلوماسية النووية)، التي نُشرت عندما كان يرأس مركز البحوث الإستراتيجية

١٢- تترتّب على تأكيد آية الله خامنئي مرجعيته مطالبات تتعدّى الحدود الوطنية في الأمور السياسية والدينية لأتباعه في العالم؛ فقد حاول مكتبه وممثّله منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي الترويج لرجعيته بدرجات متفاوتة من النجاح.

١٣- ديكستير فيلكينس، «قائد الظل»، نيويورك، ٢٠ سبتمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/jQT8>.

١٤- توضيحاً لطريقة عمل المجلس حسب الأمين العام السابق له انظر، حسن روحاني، «امنيت ملی وديپلماسی هسته ای» (تهران؛ مركز تحقيقات استراتژیک، مركز الدراسات الإستراتيجية، ٢٠١١م)، ص ٦١-٨٠.

في مجمع تشخيص مصلحة النظام، أنه لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، كان من الحكمة ألا يجتمع المجلس عند كل قضية ذات صلة بالأمن القومي، وعضواً عن ذلك يتخذ المجلس (القرارات الرئيسة والأساسية)، ثم يحوّل المسؤولية إلى الأمانة العامة التي تكمل عملية صياغة السياسات التي تتم الموافقة عليها من الولي الفقيه والرئيس^(١٥). ويمكن لأعضاء المجلس الأعلى للأمن القومي حضور اجتماعات الأمانة، وهم غالباً يفعلون ذلك، وتتكوّن الأمانة من لجان فرعية تتعلق بالسياسة الخارجية، والدفاع، والأمن القومي، وغير ذلك. وكما يروي روحاني، فإن الولي الفقيه يملك القرار في سياسات (الأمن الدفاعي)^(١٦). وأهم أعضاء المجلس الأعلى للأمن القومي الأعلى هم: الرئيس (حسن روحاني)، ووزير الخارجية (محمد جواد ظريف)، ورئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الذي يعينه الولي الفقيه (اللواء حسن فيروز آبادي)، وقائد الحرس الثوري الذي يعينه الولي الفقيه (اللواء محمد علي جعفري)، والممثل المباشر للولي الفقيه ويعينه الولي الفقيه طبعاً (سعيد جليلي، أمين المجلس الأعلى للأمن القومي السابق)، وقائد القوات البرية وهو كذلك يعينه الولي الفقيه (عطاء الله صالح)، ورئيس البرلمان (علي لاريجاني)، ورئيس السلطة القضائية ويعينه الولي الفقيه (صادق لاريجاني)، ووزير الاستخبارات الإيرانية وهو يعين بموافقة الولي الفقيه (محمود علوي). وكان علي شامخاني - الأمين العام الجديد للمجلس، ووزير الدفاع في عهد خاتمي - قد عينه روحاني في سبتمبر عام ٢٠١٣م (وهو يمثل الولي الفقيه أيضاً)^(١٧)، وينحدر من عروق عربية من مدينة الأهواز الجنوبية، ويعتقد عامة امتلاكه علاقات جيدة مع العالم العربي، وهو أول إيراني يتسلم وسام الملك عبد العزيز^(١٨)، وعلى الرغم من كونه أحد مؤسسي الحرس الثوري الإيراني، وحمله الملف الوزاري له مدة معينة خلال الحرب الإيرانية العراقية (تم حلّه منها مع نهاية الحرب)^(١٩)، فهو اليوم يتّجه نحو الوسط السياسي، وقد دافع علناً عن مير حسين موسوي - رئيس الوزراء السابق - بعد فقدانه شعبيته على إثر أحداث عام ٢٠٠٩م^(٢٠).

١٥- المرجع نفسه، ص ٩٧.

١٦- المرجع نفسه، ص ٨١.

١٧- شوراى عالی در گذار زمان، فارس نيوز، ٩١ سبتمبر ٢٠١٢م، <http://cutt.us/rVh8Z>.

١٨- أليكس فاتانكا، «علي شامخاني: نقطة اتصال روحاني مع العالم العربي»، ناشيونال إنترست، ٢٠ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/wiyeo>.

١٩- «علي شامخاني: جايزتين سعيد جليلي شد»، كلمة، ١٠ سبتمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/A7hfD> حسين علاني از انحلال وزارت سپاه می گوید، خبر آنلاین، ٢٤ إبريل ٢٠١١م، <http://cutt.us/Rnyy7>؛ مشروح مذاكرات، مجلس شوراى اسلامى، دوره ٦ جلسه ١٣٧، ٢١ أغسطس ٢٠٠٩م.

٢٠- در خواست از علی شامخانی برای آزادی موسوی و کروبی، رفی فارسی، ١٤ سبتمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/RNbz>.

الحكومة ووزارة الخارجية ودعم الحل السياسي

أفضل من يمثل آراء وزارة الخارجية اليوم هما: محمد جواد ظريف وزير الخارجية، وحسين أمير عبد اللهيان -نائبه للشؤون العربية والإفريقية- الذي يجيد بطلاقة اللغتين: العربية، والإنجليزية، وعمل دبلوماسياً رفيع المستوى في الخارجية الإيرانية ما يزيد على ١٧ عاماً، واستمر في منصبه الحالي عقب انتخاب الرئيس حسن روحاني في يونيو عام ٢٠١٢م. وتؤكد وزارة الخارجية بشكل علني دعوتها إلى (حل سياسي) للنزاع السوري، لكنها ترفض المطالبة بـ(شروط مسبقة) قبيل أي اتفاق أو انتقال نحو هذا الحل. وتعني وزارة الخارجية -بشكل أساسي- عندما تقول: «لا شروط مسبقة» أن إيران لن تقبل أي حل متوقع يستثني الأسد نظرياً من أي حكومة انتقالية افتراضية، وما كانت إيران لتقبل شرطاً كهذا حتى لا تظهر حليفاً متقلباً فحسب، بل لأنها ستخسر على الأرض أمام منافسين إقليميين بشروط هي حتى الآن غير مستعدة لقبولها. هذا هو السبب المزعوم لاستثناء إيران من مؤتمر جنيف الأول، ومؤتمر جنيف الثاني بعد ذلك، اللذين أقيما في يونيو عام ٢٠١٢م ويناير عام ٢٠١٤م على التوالي، ويُقال: إن كلاً من: المعارضة السورية، والولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة العربية السعودية، وجدوا أن حضور إيران غير مقبول لأسبابهم الخاصة^(٢١)، وقاموا بإقصاء



الرئيس حجة الإسلام حسن روحاني ووزير الخارجية جواد ظريف

٢١- «الأزمة السورية: إيران لا تستطيع الذهاب إلى محادثات السلام في جنيف - الولايات المتحدة الأمريكية»، أخبار بي بي

سي، ٢٠ يناير ٢٠١٤م، <http://cutt.us/ND4Yt>

الجمهورية الإسلامية الإيرانية بشكل قطعي. لكن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تدعم الأسد بقوة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً؛ لذا فإن إقصاءها أمر غير واقعي على المدى البعيد، ولن يُثمر عن حلول طويلة المدى للنزاع في غالب الأمر. ولأن الأسد يكاد يكون (دميةً) لإيران -كما يصفه كثير من منتقديه- فإن نفوذ إيران يبقى مهماً، وقد ازداد هذا النفوذ بشكل ملحوظ في السنتين أو الثلاث الماضية. وتعرّزت الطبيعة الإشكالية لإقصاء إيران على إثر المناورات التي قامت بها موسكو مع أوباما بشأن ترسانة الأسلحة الكيميائية، وإخفاق أوباما الملحوظ في التدخّل على الرغم من اعتراف الإدارة الأمريكية بأن استعمال هذه الأسلحة يعدّ خطأً (أحمر) كما حدث في الغوطة في أغسطس عام ٢٠١٣م^(٢٣).

وسواء تمّ تفسير تعليقات أوباما بشكل صحيح أم لا فقد أصبح الأمر غير مهمّ؛ إذ أعطى هذا الحدث -من دون شكّ- صنّاع القرار الإيراني انطباعاً بأن الولايات المتحدة الأمريكية غير قادرة على التدخّل، وأنها ترتاب من تسليح المعارضة، فضلاً عن أيّ تدخل عسكري مباشر^(٢٣)، وأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية أصبحت مستعدةً للمخاطرة -ولو بشكل مدروس وموزون- بالأرواح والأموال من أجل دعم موقعها الجيوإستراتيجي في بلاد الشام والبحر المتوسط. وما زاد من تأكيد الأمر قرار إدارة أوباما تدريب قوة مكوّنة من خمسة آلاف شخص من المعارضة السورية لمحاربة المتشدّدين الإسلاميين من أعضاء الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)^(٢٤)، وحماية المكاسب في الإقليم (عدم محاربة نظام الأسد، أو كسب الأراضي من خلال المعارك الهجومية على الأقلّ في البداية). وكذلك من خلال تخفيض الميزانية التي قدّمتها وزارة الخارجية الأمريكية إلى لجنة العدالة الدولية والمساءلة (CIJA)، التي كانت تقوم بالتحقيق في جرائم الحرب التي حصلت خلال الحرب الأهلية السورية^(٢٥).

٢٢- قام محمد إدريس أحمد -ببراعة وإتقان- بكشف زيف ادّعاء أن الثوار هم من استخدموا الأسلحة في الغوطة. محمد إدريس أحمد، «أسلوب خطر: سوريا، ساي هيرش، وفنّ الجريمة الجماعية التتقيحية»، لوس أنجلوس ريفيو أوف بوكس، ١ يونيو ٢٠١٤م، <http://cutt.us/wOsX>.

٢٣- مارك مازيتي، «دراسة من الاستخبارات الأمريكية عن الإعانات السرية وشحنها للشكوك حول مساعدة المتمردين السوريين»، نيويورك تايمز، ١٤ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/z5Pjd>.

٢٤- ماجي إيبارا، «الولايات المتحدة الأمريكية ستدرب ٥٠٠٠ من الثوار السوريين لمحاربة المسلحين»، واشنطن بوست، ١٣ سبتمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/CSRru>.

٢٥- «حصرياً: واشنطن تقوم بإيقاف تمويل تحريّ جرائم الحرب التي قام بها بشار الأسد»، فورين بوليسي، ٣ نوفمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/QoAD>.

وتأكدت الأخبار برسالة رابعة إلى آية الله خامنئي بأن الرئيس الأمريكي يرى إرث السياسة الخارجية الخاصة به في وفاق مع إيران، خلافاً لجرّ قواته إلى نزاع مدني مخيف وغير محسوم النتائج في سوريا. وتعي وزارة الخارجية الإيرانية أولويات إدارة أوباما في هذا الشأن، وقامت بالعمل وفقاً له.

خلاف النخبة حول استعمال نظام الأسد للأسلحة الكيماوية



الولي الفقيه آية الله خامنئي مع آية الله علي أكبر هاشمي رفسنجاني، وآية الله صادق لاريجاني، وآية الله أحمد جنتي

مما يجدر ذكره أنه عقب الهجوم الكيماوي في الغوطة قام حليف روحاني النافذ آية الله علي أكبر هاشمي رفسنجاني -الرئيس السابق، ورئيس مجمع تشخيص النظام- بالانشقاق عن رأي النخبة السائد، بما في ذلك الولي الفقيه علي خامنئي، الذي اعتقد أن الهجوم الكيماوي كان حيلةً منمّمةً من الغرب لتسويق تدخل عسكري ضد سوريا^(٢٦)؛ فقد صرّح رفسنجاني -بناءً على عدة روايات- في خطاب له في جمران في أغسطس عام ٢٠١٣م، وتمّ تأكيده عن طريق إحدى حفيدات آية الله الخميني، بأن «الحكومة التي تستخدم قتال كيميائي ضد شعبها ستواجه نتائج صعبة، مثل صدام

٢٦- «انتشار فيلم سخرناني رفسنجاني در باره حمله شيميايي سوريه»، راديو فاردا ٣ سبتمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/Glfm9>؛ و «بیش از ٣٠ سال روابط ایران و سوریه در یک نگاه»، دپلماسی ایرانی، ٦ سبتمبر ٢٠١٣م.

الذي لحق به العار عندما قصف حلبجة، ولاقى مصيره المروع»^(٢٧). وفي رواية أخرى، فإن رفسنجاني قام بإدانة استخدام الأسلحة الكيميائية فقط، وقارنها بتجربة إيران الأليمة على يد عراق صدام خلال الحرب الإيرانية العراقية^(٢٨). وفي خطاب آخر خلال المدة ذاتها في المنطقة الشمالية من محافظة مزندران نُقل تصريح عن رفسنجاني يقول فيه: «اعتدت الحكومة على شعبها، والآن يجب عليها أن تنتظر هجوماً من الأجنبي»^(٢٩). ومع ذلك، ونتيجة للعداء الذي واجهه الموقع الرسمي لرفسنجاني، كان عليه نفي هذه التعليقات (غير الرسمية)، وقد ظلّ منذ ذلك الوقت مُقلّماً في تعليقاته عن الوضع السوري.

ومما يجدر ذكره أن جواد ظريف -وزير الخارجية الإيراني- أيد بشكل علني النظرية التي تقول: إن الثوار هم المسؤولون عن الهجمات الكيميائية^(٣٠). ويمكننا القول: إن ردّ روحاني هو الأكثر دبلوماسية؛ فقد نادى بإجراء تحقيق محايد. وإذا استثنينا زلة رفسنجاني نجد أن النخبة كانت في أغلبيتها موحّدة الرأي بخصوص استخدام الأسلحة الكيميائية، خصوصاً في ظلّ تاريخ إيران المروع مع هذه الأسلحة. إضافةً إلى ذلك، سواء أكان ذلك يعكس تعاطفاً أم فطنةً تكتيكيةً، تظهر إشارات إضافية من ممثلين إيرانيين وحزب الله تصدّق بأن استعمال الأسد الأسلحة الكيميائية كان خطأً واضحاً. وتظهر رسالة رصدتها المخابرات الألمانية بين ممثل رفيع المستوى من حزب الله والسفارة الإيرانية تؤكد أنه في المراسلات الخاصة انتقد الحلفاء الإيرانيون على الأرض استخدام الأسد الأسلحة الكيميائية، وقالوا: إن الأسد قام (بخطأ كبير)، وأنه (فقد أعصابه)، حتى وإن استمروا في دعمهم له في التصريحات العامة، وإبعاد اللوم منه بشكل ساخر، وردّه إلى المعارضة^(٣١).

٢٧- آراش كرامي، «نفي وحذف تعليقيين منفصلين لرفسنجاني عن سوريا»، المونيتور: نبض إيران، ١ سبتمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/4U6k>.

٢٨- آراش كرامي، «هل أدان رفسنجاني (الحكومة) لاستعمالها الأسلحة الكيميائية؟»، المونيتور: نبض إيران، ٣٠ أغسطس ٢٠١٣م، <http://cutt.us/B4p3w>.

٢٩- كرامي، «تعلقان منفصلان لرفسنجاني».

٣٠- وزير خارجه ايران: اشتباهات بزرگ حاکمیت سوریه زمينه سواستفاده را فراهم کرد»، عصر ایران، ١ سبتمبر ٢٠١٣م.

٣١- جيفان فاساجار، «الأزمة السورية: حزب الله أخبر إيران بأن استخدام الأسلحة الكيميائية خطأ كبير»، التليجراف، ٣ سبتمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/J7KH>.

هل يجب حجب طهران من المشاركة السياسية على الصعيد الدبلوماسي؟

تكون المجادلة بعدم الجدوى في حجب تدخل طهران إذا تأمنا إرسال نظام الأسد ممثليه إلى جنيف ٢. ونكرر مرةً أخرى، طهران تعرف ذلك، وهو ما يزيد ثقته مع كثرة المشاحنات بين أعضاء المعارضة السورية^(٣٣)، وتفاقم التهديد العميق لـ (داعش) على مستوى المنطقة، والتحسن في أداء القوات الموالية للأسد في أرض المعركة. وتدرك وزارة الخارجية هذه الأمور، وأدخلتها في حساباتها، وهي بذلك الآن تنتظر. ومما يجب إضافته إلى ذلك أن موقف الخارجية ظلّ متوافقاً في إدارتي أحمددي نجاد وروحاني، وإلى الآن فإن السياسة تبقى ملطّفة، وهي تتماشى مع الشروط السياسية العسكرية؛ فعندما كان علي أكبر صالحى وزيراً للخارجية كان نائبه للشؤون العربية والإفريقية حسين أمير عبد اللهيان نفسه، وكان قد أذاع احتمال تشكيل حكومة انتقالية (مع أنه لم يتمّ تشكيلها رسمياً). ومرةً أخرى، كانت نقطة الخلاف على الحكومة الانتقالية هذه هي تكوينها، وما إذا كان يمكنها استيعاب ليس مجرد المعارضة (الموالية)، الذين لم يسبق لهم عمل أيّ تحدّ حقيقي لنظام الأسد، لكن أيضاً استيعاب عناصر من المعارضة في المنفى، مثل: التحالف الوطني للمعارضة السورية، والقوات الثورية والجماعات المسلحة التي تقاوم حالياً على الأرض^(٣٤).

لم يعترف الدبلوماسيون الإيرانيون بهذه المسألة المهمة إلى الآن بشكل علني بأيّ طريقة جدية. ومن الضروري الربط الفعال بين ممثلي المعارضة والقوات التي تحارب على الأرض؛ فهو ما قد يجبر إيران على إعادة التفكير في موقفها بجدية كبرى. وبالطبع، لا يمكن الاستغناء عنها في أيّ حلّ مقترح، أو احتمال وقف إطلاق النار. وبسبب الطبيعة الضعيفة والمجزّئة للروابط بين المعارضة في المنفى والجماعات المسلحة على الأرض فإن احتمالية التوصل الى وقف إطلاق نار محلي، يتم الإعلان عنه بانتظام، لا يبدو قابلاً للتحويل إلى اتفاق شامل. ووقف إطلاق النار محلياً ما هو إلا نتيجة الحاجة إلى إطفاء النيران، ورفع الأذى عن المتضررين المدنيين، لكنه -مع أهميته- لم يتحوّل إلى عملية وطنية مستديمة.

٣٢- ديفيد كينر، «لهذا السبب لا يمكن اقتناء الأسلحة الجيدة»، فورين بوليسي، ٢٠ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/J1Ep>.

٣٣- «إيران تقترح حكومة انتقالية لسوريا»، أخبار مهر، ١٦ أكتوبر ٢٠١٢م، <http://cutt.us/mw9f>؛ آرون لوند، «لعبة النهاية غير الواقعية لإيران في سوريا»، مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي: سوريا في أزمة، ١١ إبريل ٢٠١٤م، <http://cutt.us/X8hh>.

انتقادات ظريف الملائمة

انتقد جواد ظريف -وزير الخارجية- الحكومة السورية في بعض المناسبات بشكل علني، وبطريقة لم يكن ليفعلها سلفه؛ ففي مقابلة شهيرة له في خريف عام ٢٠١٣م مع مجلة أسمان الأسبوعية، التي أغلقتها السلطة القضائية منذ ذلك الوقت، ذكر بشكل صريح أن الحكومة السورية قامت بـ(أخطاء كبيرة)، وبذلك مهّدت الطريق لخصومها ومنتقديها للاستفادة من مثل هذه الأخطاء^(٢٤). ولم يجر أيّ تغيير في المواقف الأساسية لمعارضة التدخل العسكري، والإحجام عن الاعتراف بالمعارضة المسلحة، ومع ذلك لم يكن هناك انتقاد مباشر لشخص الأسد. وأصرّ ظريف على «عدم وجود حلّ عسكري في سوريا قطعياً... فالحلّ العسكري لن يصاحبه إلا الفوضى، والتطرّف، وتفاقم الاختلافات والتوترات الطائفية»^(٢٥). إضافة إلى ذلك، يبدو أن ظريف صرف النظر عن المعارضة في الخارج، ووضعه في مصافّ العناصر الجهادية^(٢٦)؛ «فلم تكن أفعال المعارضة خلال السنتين الماضيتين صادرةً -أولاً- عمّن يبحث عن الحرية، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى صدرت عن الجماعات التكفيرية التي تسعى وراء الصراع والعنف والطائفية»^(٢٧). ومع ذلك، ظهرت درجة من المرونة والواقعية في تعليقات ظريف عندما ادّعى أنه «لا يوجد اليوم حلفاء أو منافسون دائمون لأيّ بلد»^(٢٨). نستطيع أن نرى مدى اختلاف اللغة الدبلوماسية التي تستخدمها الخارجية الإيرانية عن تلك اللغة التي تظهر العداء المتأصل الذي يعبر عنه كلّ من الولي الفقيه وأصحاب المناصب العليا في الحرس الثوري بشكل واضح. ومع ذلك، فهذا الأمر لا يعني أن أهدافهم أو تطلّعاتهم تجاه المعضلة السورية على طريفي تقيض؛ فالذي يجب أخذه في الحسبان هو أن مصطلحاتهم العامة تتأثر بالأطر المؤسسية المتباينة وجماهيرهم المختلفة؛ فظريف -على سبيل المثال- على اطلاع كامل ودراية

٢٤- تمّت إعادة نشر هذه المقابلة إلكترونياً عن طريق موقع عصر ايران . «وزير خارجه ايران: اشتباهات بزرگ حاگیت سوریه زمینه سوءاستفاده را فراهم کرد»، عصر ايران، ١ سبتمبر ٢٠١٣م. لم يكن ظريف وحيداً ضمن الهيئة الدبلوماسية في انتقاداته لتصرف الحكومة السورية. ففي الآونة الأخيرة قدم محمد علي سبحاني، السفير الإيراني السابق للبنان، انتقادات قاسية على وجه الخصوص لبشار الأسد وردة فعل نظامه للثورة السورية. تأثیر سبحانی داخل نخبة صنایع القرار السياسي ستكون ضئيلة، ومع ذلك، عليه أن يتعامل مع أصوات النظام والمؤسسات الأكثر تأثيراً. سبحانی: «داعش تضعیف می شود، اما از بین نمی شود»، نامه نیوز، ٢٢ نوفمبر ٢٠١٤م، namehnews.ir.

٢٥- المرجع نفسه.

٢٦- يتفق بعض المعلقين الغربيين -أمثال باتريك كوكبيرن- على هذا التقييم. أما كونه صحيحاً أو غير صحيح فيبقى سؤالاً آخر. باتريك كوكبيرن، عودة الجهاديين: داعش والثورة السنية الجديدة (نيويورك): أو آر بوكس، ٢٠١٤م، ١٨.

٢٧- عصر ايران، ١ سبتمبر ٢٠١٣م.

٢٨- المرجع نفسه.

واسعة بأهمية الدبلوماسية العامة والرأي العام الغربي. إضافةً إلى ذلك كما ذكرنا سابقاً، فإن هيكلية مراكز الدولة المختلفة لصناعة قرارات السياسة الخارجية ووزنها يمنعان مثل هذه اللغة من أخذ الأسبقية في السياسات والممارسات في نهاية المطاف، حتى لو كانت ذات محتوى مهم.

الخطاب الأُسدي عن الإرهاب، وصعود (داعش)

باستيلائها على الموصل في يونيو عام ٢٠١٤م، ودعم الجمهورية الإسلامية الإيرانية العسكري قوات البشمركة في حكومة إقليم كردستان ومجموعة من الميليشيات الشيعية^(٣٩)، عدتها إيران نفسها مسوغةً لأفعالها. ويأتي هذا الإدراك من ثقة إيران بأنها الدولة الوحيدة التي تستطيع دحر تهديد (داعش)، ووأده في مهده قبل تفاقمه، والتأكد من عدم قدرته على الاستيلاء على مزيد من الأراضي. وتشير تعليقات ظريف والمسؤولين الآخرين إلى اعتقادهم الجازم بعدم قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على الحفاظ على توازن المنطقة من دون مساندة عسكرية وسياسية من إيران. وستظل وزارة الخارجية مستمرة في الضغط للحصول على حل دولي في سوريا يماثل ما حصل في المؤتمر الدولي في بون عام ٢٠٠١م، الذي نتجت منه حكومة ما بعد طالبان في أفغانستان، والذي شارك فيها ظريف شخصياً^(٤٠). وسيعني ذلك بالطبع تدخل إيران ومشاركتها في الحل، وستضمن إيران من خلال ذلك الحفاظ على مصالحها في سوريا، والحدود السورية اللبنانية؛ فعلى سبيل المثال: ضم المناطق المهمة، مثل القصير والقلمون (سوريا)، وبعبك (لبنان)، إضافةً إلى إظهار إيران حسن نيتها تجاه القوات الغربية بوصفها مقابلاً لذلك^(٤١). كما أن طهران تعلم أنها يجب أن تكون جزءاً من الحل إذا أرادت أن تستفيد من أي نتيجة دبلوماسية ناجحة، محافظةً بذلك على حصتها الجيوسياسية في مستقبل سوريا مهما كانت جزئية.

والاختلاف البارز -بالطبع- أن مؤتمر بون ضمن استبدال ائتلاف صديق في طالبان بعدو سابق، كما أن طالبان تقف في موضع تتساوى فيه المصالح الإيرانية والأمريكية بشكل كبير. وبالمقارنة مع سوريا، فإن أغلبية المعارضة المجزأة التي تأمل الحصول على الدولة السورية في

٣٩- باباك داغان بيشييه، «تقرير خاص: محاربو العراق التابعين لإيران»، رويترز، ١٢ نوفمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/3vdD>.

٤٠- أندرو باراسيليتي، «وزير الخارجية الإيراني يعرض المساعدة بشأن الأسلحة الكيميائية السورية»، المونيتور، ٣٠ سبتمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/A43go>؛ ناصر هاديان، «أسباب رغبة إيران في السلام في سوريا»، معهد الولايات المتحدة للسلام: إيران برايمر، ٤ فبراير ٢٠١٤م، <http://cutt.us/NCiL>.

٤١- «الولايات المتحدة تعارض ربط تعاون إيران مع داعش في المحادثات النووية»، رويترز، ٢٢ سبتمبر ٢٠١٤م،

حال إقصاء الأسد غالباً ما أعربت عن حقدتها الدفين وعدائها لما تدعوه (الاحتلال الإيراني لسوريا)، وفعلياً فإن جميع حلفاء واشنطن يعارضون بقاء الأسد في الحكم، كما يعارضون نفوذ إيران غير المناسب فيها^(٤٢). وبسبب حالة عدم الاستقرار المستمرة في الوضع تنتظر إيران لتري إذا كانت تستطيع الاستفادة من دورها في استقرار الوضع في العراق على المدى القصير، حتى وإن كان دعمها الميليشيات الشيعية سيؤذي غالباً فرصتها في السلام والاستقرار على المدى البعيد.

لكن مع ذلك قامت سوريا، وروسيا، والأمم المتحدة، والأخضر الإبراهيمي المبعوث المشترك السابق لجامعة الدول العربية والأمم المتحدة، بإعادة موازنة وجهة النظر هذه باستمرار، مصرّين على ضمّ إيران إلى أيّ مفاوضات ذات مغزى. وفي مقابلة مع صحيفة المونيتور أفصح عن هذا الطيف المستقطب من الآراء: «الأوضاع في سوريا أصبحت مستقطبة بشكل سريع، ومن الأمور التي كان يجب أن توضع في نصابها أن جزءاً من الفرقاء، في داخل سوريا وخارجها، كانوا يقولون بعدم وجود حلّ مع بشار الأسد، أما الجهة الأخرى فكانت تقول بعدم وجود حلّ من دونه. هذه هي المشكلة التي حاول الجميع حلّها، وهي إلى الآن تنتظر الحل إلى حدّ ما»^(٤٣).

يبدو أن وزارة الخارجية الإيرانية تعتقد أن جهود الولايات المتحدة الأمريكية لإقصاء إيران من التسوية عن طريق التفاوض ستبوء بالإخفاق، وأن الأمور تحوّلت إلى مصلحة نظام الأسد، خصوصاً بعد انتصار القوات الموالية للأسد، والحرس الثوري، وقوات حزب الله اللبنانية، في قرية القصير الحدودية في يونيو عام ٢٠١٣م، وهي المدينة التي كانت -إلى ذلك الوقت- طريقاً مهماً لإمداد قوات المعارضة في حمص^(٤٤)، وكانت تعدّ أيضاً طريقاً لنقل شحنات الأسلحة إلى مخازن حزب الله في سهل البقاع. وتمّ تعزيز هذا الزخم من خلال وقف إطلاق النار الذي جرى في مايو عام ٢٠١٤م، والذي أدّى إلى انسحاب ٢٠٠٠ محارب من محاربي المعارضة، وعدّ ذلك فوزاً لمصلحة الأسد^(٤٥). ومع ذلك لم تأخذ وزارة الخارجية الإيرانية إستراتيجية متطرفة؛ لأنها تعي ضرورة كونها على استعداد للضغط على حليفتها لتوجيهها نحو

٤٢- «أردوغان يقول: تركيا ستحارب داعش، ويصرّ على رحيل الأسد»، تودايز زامان، ١٠ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/GSndz>.

٤٣- أندرو باراسيليتي، «المبعوث السابق للأمم المتحدة في سوريا يقول: خطة إيران المتعلقة بسوريا تستحق المناقشة»، المونيتور، ١٨ مايو ٢٠١٤م، <http://cutt.us/9VLL>.

٤٤- سامية نخول، «تحليل: انتصارات حزب الله في سوريا تهدّد بنزاعات شيعية سنية»، رويترز، ٦ يونيو ٢٠١٣م، <http://cutt.us/tamG>.

٤٥- «إيران في سوريا: من حليف للنظام إلى قوة احتلال»، نامي شام، ٢٨ سبتمبر ٢٠١٤م.

القيام بإصلاحات تسوية في حال وُجد حلّ أشمل. وفي خلال هذه المدة، أخذت الولايات المتحدة الأمريكية -حسب بعض التقارير- الصراع الجاري في سوريا فرصة لـ (استنزاف) الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وإضعاف ورفقتها في المفاوضات النووية؛ فقدّر أحد المصادر -مع أخذ الحيلة- إنفاق إيران ما يقارب ٦٠٠-٧٠٠ مليون دولار شهرياً لدعم نظام الأسد^(٤٦). وبالطبع، فإن وجود مصادر موثوق بها أمر صعب في هذه المواقف؛ بسبب الحساسيات التي تحيط هذا النزاع الإقليمي، وبسبب اتجاه جميع الأطراف نحو الغلو والدعاية السوداء.

بغض النظر عن صحة هذا التصور بوجود إستراتيجية أمريكية لـ (استنزاف) الجمهورية الإسلامية الإيرانية فقد أوجدت عدم القدرة على إزالة نظام الأسد وحلّ هذا الجمود الجماعي عدة فراغات في سوريا، تم ملء بعضها عن طريق جماعات جهادية متعددة. وعلى الرغم من ضلوع نظام الأسد في هذه الأحداث^(٤٧) لم يمنع ذلك نظام الأسد والجمهورية الإسلامية الإيرانية من الترويج لهذه الاحتمالية؛ بهدف تغيير التوجّه في تركيز المجتمع الدولي والرأي العام، بل قاموا بتحويل المناقشات عن الحرب الأهلية في سوريا إلى مناظرة حول الإرهاب والاستقرار في الإقليم، ووجّهوا اللوم بشأن نشوء (داعش) إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودول الخليج



حسين أمير عبد اللهيان، نائب وزير الخارجية للشؤون العربية والأفريقية

٤٦- سامية نخول، «تحليل».

٤٧- روث شيرلوك، «اتهام الأسد بدعم القاعدة بواسطة صفقات نفطية سرية»، تيليجراف، ٢٠ يناير ٢٠١٤م، <http://cutt.us/LAC4m> ; حسن حسن، «لم يحارب الأسد داعش من قبل»، نيويورك تايمز، ٢٢ أغسطس ٢٠١٤م، <http://cutt.us/maqW>.

التي نظرت في الاتجاه الآخر حسب ادعائهم، إن لم تكن تدعم نشأة فصيل خبيث من الجهاد الطائفي مباشرة^(٤٨). ولخص جواد ظريف -وزير الخارجية- وجهة النظر هذه في خطابه إلى مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك في سبتمبر عام ٢٠١٤م؛ إذ أطلق لقب (تحالف الندم)^(٤٩) على من حضر مؤتمر باريس بشأن الأمن والسلام في العراق في ضوء احتلال (داعش) الموصل، وقال ظريف في هذا الخطاب عن شخص الأسد خاصة، وعن الجمود الدبلوماسي الحاصل: «المشكلة تكمن في تحصيل الناس أنفسهم بخصوص موقف عدم الموافقة على هذا الشخص، أو امتلاك الشخص الآخر دوراً في مستقبل سوريا؛ فنحن لا نملك الحق في تقرير ذلك، ونحن لا نقول: يجب أن يكون الأسد أو أي شخص آخر الرئيس المستقبلي في سوريا. ما نقوله هو: إذا كان هذا الشخص وحشياً إلى هذه الدرجة فاسمحوا للسوريين بإقصائه من منصبه، وضعوا شروطاً لكيفية إجراء الانتخابات، وليس الحديث عن يجب أن يترشح»^(٥٠).

حاول جواد ظريف بهذه الطريقة أن يظهر الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمظهر مراقب محايد من خارج النزاع، عوضاً عن مشارك نشط يدعم أحد الأحزاب العسكرية ضد الآخر. خفة اليد البلاغية هذه مشكوك فيها، ليس فقط لهذا السبب، بل لعلم ظريف الأكيد أن نظام الأسد ليس لديه نية في إقامة انتخابات نزيهة يراقبها مراقبون دوليون مادامت لديه اليد العليا على المعارضة، ويقوم باسترجاع الأراضي المفقودة، أو حتى تمسكه بالمدن الأساسية والأراضي المحيطة بها. وتم تأكيد ذلك قبل الانتخابات الرئاسية في يونيو عام ٢٠١٤م، التي فاز فيها بشار الأسد بـ ٩٠٪ من الأصوات^(٥١).

الخطة الرباعية للجمهورية الإسلامية الإيرانية: طريق إلى الأمام

كانت الخطة الأساسية للدبلوماسيين الإيرانيين من مارس عام ٢٠١٤م إلى الآن هي الحلّ الرباعي، وتدعو الخطة إلى: وقف إطلاق نار شامل على المستوى الوطني، وتشكيل حكومة وحدة وطنية تتكوّن من النظام و(المعارضة)، وتحويل الصلاحيات الرئاسية إلى الحكومة

٤٨- «جوكار در گفتگو با دفاع پرس: عربستان بیت المال مسلمین را خرج داعش می کند»، دفاع مقدس، ١٥ أكتوبر ٢٠١٥م، <http://cutt.us/LNtcg>.

٤٩- «وزير الخارجية الإيراني إلى الولايات المتحدة: ماذا كسبت من العقوبات؟ مقابلة مع محمد جواد ظريف»، ناشونال إنترست، ١٧ سبتمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/zcB4z>.

٥٠- «وزير الخارجية الإيراني يتعهد بدعم العراق في مكافحة داعش: محادثة مع محمد جواد ظريف»، مجلس العلاقات الخارجية، ١٧ سبتمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/19aL>.

٥١- «بشار الأسد يفوز في الانتخابات في سوريا بينما الثورة ضده تستمر»، الجارديان، ٤ يونيو ٢٠١٤م، <http://cutt.us/9FsF>.

الانتقالية الجديدة، والتجهيز للانتخابات الرئاسية والبرلمانية^(٥٢). أما أمير عبد اللهيان، فقد قدّم نسخةً مغايرةً لهذه الخطة، يقول فيها: إن التركيز في بادئ الأمر يجب أن يكون في (الإرهاب التكفيري). ويبدو أن ذلك يعني تحالفاً مع نظام الأسد وتمكيناً له من أجل استعادة هذه الأراضي التي تمّت خسارتها لمصلحة عدة مجموعات إسلامية، منها: جبهة النصرة، و(داعش). ومن غير الواضح اعتقاد إيران واقعية هذه الخطة؛ فمن الممكن أن تكون أفضل سيناريو وضعه المشرّعون الإيرانيون، ولا يرجّحون حصوله. أما النقطة الثانية التي يركز فيها أمير عبد اللهيان في خطته البديلة، فهي توفير المعونات الإنسانية، والنقطة الثالثة هي قيام المحادثات الشاملة، والخطوة الأخيرة هي محادثات وطنية داخل سوريا بمشاركة الأمم المتحدة^(٥٣).

ويبدو كثير من هذه التوصيات غامضاً بشكل مقصود، مرّكزاً في إعادة تعريف مشكلات سوريا السياسية، وأن علّة (الإرهاب) هي أكثر شيء يهيمن عليها، وهذا الأمر يمكن أن تجد فيه الولايات المتحدة الأمريكية، ونظام الأسد، وإيران، قضيةً مشتركةً يمكن الإجماع عليها. وقد سعى بشار الأسد منذ بداية الثورة السورية إلى وصف المعارضة بـ(الإرهابية)؛ لتجربتها من أيّ مطالب سياسية شرعية، ولصياغة الاضطرابات التي تهزّ سوريا على أنها مؤامرة أجنبية مدبّرة، وهي رواية دعمتها بشكل ساحق -كما ذكرنا سابقاً- النخبة السياسية الإيرانية^(٥٤). لكن يبقى الاهتمام الرئيس ليس المحافظة على الأسد مهما كلف الأمر، بل المحافظة على تأثير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في بلاد الشام، وعلاقتها الإستراتيجية مع حزب الله^(٥٥).

وبذلك يجب أن نأخذ في الحسبان عدم استطاعة طهران الاستمرار في العيش مع جارتين لدهيها حدود متصدّعة على وشك الانهيار، وعواصم مُحاصرة، ستجد طهران نفسها آنذاك مُجبرةً على تخصيص قدر كبير من الموارد والقوة البشرية لضمان أمن حلفائها وأمنها أيضاً. وقام الحرس الثوري الإيراني بإنكار أخبار تسلل (داعش) إلى غرب أذربيجان في

٥٢- آرون لوند، «لعبة النهاية غير الواقعية لإيران في سوريا»، مرجع سابق.

٥٣- حسين أمير عبد اللهيان، «خطة إيران الرباعية لإيجاد حلّ سياسي في سوريا»، المونيتور، ٥ مارس ٢٠١٤م، <http://cutt.us/iKYd>.

٥٤- ديفيد دبلو، ليش، سوريا: سقوط بيت الأسد، (نيو هايفن، كونيتيكت: بيل يونيفرسيتي بريس، ٢٠١٢م)، نسخة كندل، ص ١٣٣٤ من ٦٤٢٣.

٥٥- كانت زيارة علي شامخاني -الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي- بيروت، وتعهده بمساعدات عسكرية في أواخر سبتمبر عام ٢٠١٤م، يتماشيان مع المنظور الأوسع فيما يتعلّق بإيران، وتثبيت نفسها في بلاد الشام «فهرست هدايات نظامي ايران به لبنان منتشر شد»، ديكربان، ١٩ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/L22a>.

أبريل ٢٠١٤م، لكن إذا تمَّ إثبات صحة ذلك - كما ادَّعت بعض المصادر^(٥٦) - فلن تستطيع إيران أن تقف موقف المشاهد بينما تستمر حليفاتها: العراق، وسوريا، في إظهار عدم القدرة على السيطرة على العنف الموجود على أراضيها.

وبسبب مواجهة طهران أنشطة المسلَّحين البلوش السُّنَّيين في إقليم سيستان- بلوشستان، الواقع على الحدود الإيرانية- الباكستانية^(٥٧)، فلن ترحَّب إيران بمزيد من التهديدات من المسلَّحين والجهاديين السُّنَّيين^(٥٨)، ومع ذلك أظهرت وزارتا الداخلية والاستخبارات تقتهما بأن الحدود آمنة، وأن المسؤولين قادرين على التصدي لجميع التهديدات، التي تنشأ في معظمها من المظالم المحلية على أيِّ حال. ومما يؤكِّد هذا التقييم إعلان حجة الإسلام سيد محمود علوي -وزير الاستخبارات- القبض على ١٣٠ شخصاً بزعم ارتباطهم بـ(جماعات تكفيرية)؛ ليطمئن الرأي العام بأن ما يحدث في العراق لن تمتد آثاره إلى إيران^(٥٩). إضافةً إلى ذلك، وعلى الرغم من مساهمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في حالة عدم الاستقرار في العراق وسوريا، فإن مصداقية وزارة الخارجية الإيرانية اعتمدت على قدرتها على إظهار الجمهورية الإسلامية الإيرانية - كما قال الرئيس كارتر- (جزيرةً من الاستقرار) في حيِّ مضطرب، وبإمكانها الإسهام في الأمن الإقليمي بطريقة لا تستطيع أيُّ دولة في المنطقة فعلها. بإيجاز: إن إيران -على الرغم من مساهمتها في عدم الاستقرار الإقليمي من خلال زرع الميليشيات الطائفية في العراق وسوريا- سعت مرَّةً تلو الأخرى لتظهر أنه لا يمكن الاستغناء عنها في هيكلة الأمن في المنطقة. وكانت هذه الإستراتيجية تعود بالنتائج؛ بسبب ازدياد عدد السياسيين الغربيين الذين دعاوا علناً في الأشهر الأخيرة إلى التعاون الإيراني في أمر العراق ومناطق أخرى^(٦٠).

٥٦- «ادعاى درگيرى داعش با نبره‌هاى نظامى ايران»، ب ب س فارسى، ٢٩ إبريل ٢٠١٤م؛ <http://cutt.us/kSSzC>؛ «داعش به آذربايجان مى رود»، ابنا ٢٤ يونيو ٢٠١٤، <http://cutt.us/iYgF>؛ ٥٧- توماس إيردبرينك، «المسلَّحون في باكستان يكفِّون الضربات على إيران»، نيويورك تايمز، ٩ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/a45N>.

٥٨- ومع ذلك يُوجد اتفاق عام بأن الجماعات السُّنَّية المتشدِّدة في سيستان- بلوشستان هي -في المقام الأول- قضية محلية متعلِّقة بالحرمان، وقلة التطوير، والتمييز العرقي والديني في الإقليم، ويمكن حلَّ هذه المظالم بشرط أن تخطو الحكومة بحذر، دون الإكثار من الغلظة. سكوت بيترسون، «في مواجهتها الخاصَّة مع محاربين متأثرين بالدولة الإسلامية.. إيران تلك عصا أصغر»، كريستيان ساينس مونيتور، ٣٠ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/DvUp>.

٥٩- «وزير اطلاعات ايران از دستگيرى ١٣٠ عامل تكفيرى «خبرداد» بى بى سى فارسى، ٧ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/eq5h>.
٦٠- «أزمة الدولة الإسلامية.. يقول كيري: إيران يمكنها المساعدة على الانتصار على داعش»، أخبار بي بي سي، ١٩ سبتمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/yCTj> «فرنسا تريد من العرب وإيران ومجلس الأمن الدولي معالجة مسألة الدولة الإسلامية»، أخبار فوا، ٢٠ أغسطس ٢٠١٤م، <http://cutt.us/841z>.

ومع أن جواد ظريف -وزير الخارجية الإيراني- وسعود الفيصل -وزير الخارجية السعودي- قد أعلننا ضرورة سحب جميع المقاتلين الأجانب بوصفها خطوة أولية في طريق حلّ سياسي^(٦١) إلا أن هذا الخيار يبدو خارجاً عن السيطرة المطلقة لكل من إيران والمملكة العربية السعودية، خصوصاً السعودية؛ لأن حزب الله يعدّ -لأسبابٍ متعددة- أكثر استجابةً لقيادة راعيه الإيراني، بعكس الجماعات الجهادية السُّنية في سوريا، التي ليست لديها علاقة مماثلة مع دول الخليج؛ لذلك بدأت هذه الجماعات في إنشاء مصادر دخل مستقلة، وإيران على علم بهذه الحقيقة. إضافةً إلى ذلك، فإن الحرس الثوري -كما سيرد ذكره- أدى دوراً أساسياً في انسياب الميليشيات الموالية للأسد وتأهيلها؛ فمن المستبعد عدم قدرة إيران على السيطرة على تحركاتهم وعملياتهم. والأهم من ذلك تصريح العميد السيد مسعود جزائري -النائب السابق لشؤون الباسيج والشؤون الدفاعية الثقافية، ومساعد الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية حالياً- الذي قال فيه بعبارات لا لبس فيها: إن المفاوضين الإيرانيين الذين يتفاوضون مع دول الخمسة زائد واحد لا سلطة لديهم في المفاوضات حول السياسة الإيرانية في سوريا والعراق^(٦٢)؛ فالقرارات الإستراتيجية فيما يخصّ سوريا ستكون خاضعةً لمكتب الولي الفقيه وأصحاب المناصب العليا في الحرس الثوري.

يجب أن نلاحظ أمراً مهماً فيما يتعلّق بسياسة حكومة روحاني، والتوقعات الإقليمية للدبلوماسيين العاملين في وزارة الخارجية ومراكز الأبحاث والدراسات المتعلقة بها، وكذلك النخبة السياسية، مثل الرئيس السابق هاشمي رفسنجاني، وهو أنهم يعدّون أنفسهم -من دون أيّ شكّ- المنافسين الجيوسياسيين لدول الخليج العربي وتركيا في سوريا، إلا أنهم يدركون أيضاً أهمية الحفاظ على العلاقات الثنائية مع هذه الدول وتحسينها في سبيل الازدهار الاقتصادي لإيران وطموحاتها الإقليمية^(٦٣)، وستبقى التجارة الإقليمية وتوسّعها -بلا شكّ- مصدر القلق الأساسي لهم؛ للانخفاض

٦١- «إيران إف إم: تستطلع طهران سحب المحاربين الأجانب من سوريا»، أخبار فوا، ٥ نوفمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/T2If>.

٦٢- أراش كرامي، «المفاوضون الإيرانيون في المسألة النووية لا (سلطة) لهم في مناقشة الدولة الإسلامية»، المونيتور، ٢٤ سبتمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/ffCOJ>.

٦٣- جهود إدارة رفسنجاني في تأسيس وفاق مع المملكة العربية السعودية في تسعينيات القرن الماضي معروفة بشكل جيد، كما تفعل العلاقات الثنائية التجارية التركية- الإيرانية في تخفيف حدة الخلافات حول أمور السياسة الخارجية مُقدّرة. أنظر أيضاً: تعليقات سبجاني حول علاقة إيران والسعودية، بالرغم من كونها متنافسة ولكنها يجب ألا تأخذ طابعاً عدائياً، «سبجاني: داعش تضعيف مى شود، اما از بين نعى شود».

الشديد مؤخراً في عائدات النفط بسبب ظروف السوق العالمية^(٦٤)، وهو الأمر الحاسم لتعهدات حكومة روحاني وتوقعاته الاقتصادية. وفي هذا الصدد، على الرغم من هذه التوترات أظهرت الدول الرئيسة في هذه المعادلة براعتها - في معظم الوقت - في فصل القضايا التي تختلف فيها سياسياً عن تلك التي يتم التعاون فيها. ولأن المنافسة والمواجهة مع هذه الدول في المسرح السوري أمر لا مفرّ منه فإن النفعيين في السياسة الخارجية داخل المؤسسة الإيرانية لا يريدون امتداد هذه المنافسة إلى مناطق أخرى، وتأجيج نيران عدم الاستقرار في العراق أو الشام، أو تهديد علاقاتها مع تركيا أو دول الخليج بشكل لا يمكن تداركه. ويبدو أن الاجتماعات الأخيرة بين جواد ظريف - وزير الخارجية الإيراني - وسعود الفيصل - وزير الخارجية السعودي - تشير إلى وجود مستوى من الواقعية كان غائباً عن الدبلوماسية في مدتي إدارة أحمدني نجاد، ووجود رغبة في وضع العلاقات على أسس جديدة، حتى لو بقيت الخلافات حول مستقبل سوريا عميقة ومثيرة للجدل^(٦٥). كما يُوجد أيضاً عدم ثقة سعودية أساسية تتبع من الاعتقاد بعدم سيطرة ظريف وروحاني على أنشطة الحرس الثوري الإيراني وتطلّعاته على الرغم من التغيير الحاصل في لهجة الحكومة الإيرانية؛ فكلّ من ظريف وروحاني، وخصوصاً روحاني، لديهما القدرة على إقناع خامنئي وتشجيعه - كما فعل روحاني سابقاً - بشأن موضوع الملف النووي بوصفه الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي^(٦٦). ويبقى القرار في نهاية الأمر مع الولي الفقيه، ويعتمد على مدى إقناع النخبة السياسية بأن الحلّ الدبلوماسي الموجود، أو الذي سيتمّ جنيه، مربح بما فيه الكفاية أم لا.

٦٤ - أنتوني ديباولا، وجيلنار متولي، «عائدات النفط الإيرانية تهبط بنسبة ٣٠٪ بسبب تراجع الأسعار العالمية»، بلومبرج، ٢٠ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/79xkQ>.

٦٥ - «ظريف: فصل جديد في العلاقات الإيرانية-السعودية»، وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية، ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/bK2Yz>.

٦٦ - يُقال: إنه عندما كان حسن روحاني رئيساً للمجلس الأعلى للأمن القومي أدى دوراً حاسماً في إقناع خامنئي بقبول تعليق برنامج تخصيب اليورانيوم في أكتوبر عام ٢٠٠٣م في سياق مفاوضاته مع فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة. ديفيد باتركاراكوس، إيران النووية: ولادة الدولة النووية، (لندن: آي. بي. توريس، ٢٠١٢م)، ص ١٩٨.

الولي الفقيه آية الله علي خامنئي ومكتبه «الصحة الإسلامية» ضد «الربيع العربي»

أخذ آية الله علي خامنئي وزمرة من مستشاريه الموثوقين، منهم علي أكبر ولايتي -وزير الخارجية السابق- الذي خدم في المدة (١٩٨١ - ١٩٩٧ م)^(٦٧)، واللواء سيد يحيى رحيم صفوي -الرئيس السابق للحرس الثوري في المدة (١٩٩٧ - ٢٠٠١ م)- طريقاً أقلّ اعتدالاً ودبلوماسيةً فيما يتعلّق بالأزمة السورية؛ ففي عدة مناسبات صرّح خامنئي برأيه في مجريات الأحداث في سوريا، ومؤخراً في العراق، بما في ذلك ظهور مجموعات مثل (داعش)، وأن ذلك ما هو إلا جزء من مؤامرة استعمارية مدروسة من قوى خارجية، خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وإسرائيل؛ لتقسيم الأمة الإسلامية وحكمها^(٦٨). وأكد وجهة النظر هذه في عدة مناسبات أعضاء رفيعو المستوى من القوات العسكرية والأمنية



الرئيس السوري بشار الأسد يلتقي الولي الفقيه آية الله سيد علي خامنئي

٦٧- عقب انتخاب روحاني رئيساً تمّ تعيين ولايتي رئيساً لمركز الدراسات الإستراتيجية لمجمع تشخيص مصلحة النظام.

٦٨- خامنه اي: «انگليس خبيث داعش را برای مقابله با جمهوری اسلامی درست کرد»، راديو فاردا، ١٣ أكتوبر ٢٠١٤م،

الإيرانية، أمثال العميد جزائري نائب قائد القوات المسلحة الإيرانية^(٦٩). وقد أنكر آية الله سيد مجتبي حسيني -ممثل خامنئي المباشر في سوريا، الذي يقع على عاتقه إبداء آراء مكتب الولي الفقيه- فكرة إبعاد الأسد بوصفه أحد الخيارات: «إن أغلبية الناس مع الحكومة، أما المتظاهرون فيتمّ تصنيعهم وإرسالهم من الخارج... وهدفهم إعطاء ضمانات لإسرائيل، وقطع يد الثورة والمقاومة الإسلامية في المنطقة... والحلّ هو إيقاف إدخال الأسلحة بشكل رسمي وتأمّ، وإغلاق الحدود»^(٧٠). وتمت إعادة إبداء فكرة المؤامرة هذه بثقة من نائب وزير الخارجية الإيراني في نوفمبر عام ٢٠١٤م: «جماعة (داعش) الإرهابية التكفيرية هي نتاج الموساد الإسرائيلي، وهدفها تشويه صورة الإسلام»^(٧١).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو وُلغ خامنئي في شبابه بالمنظر المصري الإخواني المسلمين سيد قطب؛ فالمنافرة في موقفه تجاه المعارضة الإسلامية في سوريا اختلفت تماماً مع أمثال (داعش) والقاعدة؛ فحماسة خامنئي الشاب -على الرغم من تصريحاته العامة- أفسحت الطريق أمام (الواقعية الهجومية) إذا استخدمنا مصطلح جون ميرشيمير، التي تكون فيها الرغبة في ضمان الهيمنة الإيرانية و(الوحدة الإسلامية) بإقرار من الجمهورية الإسلامية الإيرانية أولوية شاملة. ومع ذلك فقد تحدّث النواب المحافظون في طهران عن انعقاد ما لا يقلّ عن عشرة اجتماعات بين ممثلين أمريكيين وإيرانيين على الرغم من نفي كلّ من إدارة أوباما والجمهورية الإسلامية الإيرانية ذلك^(٧٢). ولم يتم الإفصاح عن محتوى الاجتماعات، لكن مثل هذه التسريبات تدفعنا إلى التشكيك في حتمية رفض خامنئي الشديداً تعاوناً محتملاً مع الولايات المتحدة الأمريكية حول (داعش) في العراق بعد التغطية الإعلامية الواسعة حول عملية البروستاتا التي أجراها في سبتمبر عام ٢٠١٤م^(٧٣).

٦٩- «اطلاعات ما ثابت می کند امریکا در راس مدیریت داعش است/ اجازہ نمی دہیم ایالات متحدہ بہ هدف خود در سوریه برسد» دفاع مقدس، ٧ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/cxuow>.

٧٠- «مصاحبه با نماینده مقام معظم رهبری در کشور سوریه نهاد نمایندگی مقام معظم رهبری در امور اهل سنت سیستان و بلوچستان» ٢٥ مارس ٢٠١٣م، <http://nahadsb.ir/?p=2348>.

٧١- «إيران تقول: داعش هي نتاج الموساد»، أخبار فارس، ٤ نوفمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/82Zxc>.

٧٢- «یک نماینده محافظه کار مجلس خبر داد: ایران و امریکا ١٠ جلسه خصوصی داشته اند»، دیگربان ١٥ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/9Ve5>.

٧٣- «رهبر انقلاب: امریکا در سوریه شکست خورد، در عراق هم هیچ غلطی نمی توانند بکنند»، کیهان ١٥ سبتمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/l2jfx>.

منذ بداية الثورات العربية التي انطلقت في يناير عام ٢٠١١م، سعت الجمهورية الإسلامية الإيرانية -من ناحية تصوّرية- إلى أن تصف التطورات الحاصلة في المنطقة بأنها جزء من (الصحوّة الإسلامية) المستوحاة من الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م، وما أعقب ذلك من إنشاء دولة دينية شيعية. ففي هذا النوع من الخطاب سنتخب الدول التي تمرّ باضطرابات شعبية زملاءها الإسلاميين للوصول إلى السلطة، وتقرّر التخلي عن علاقة (العميل - الراعي) مع واشنطن، وسيقومون بتهيئة أنفسهم للظهور بشكل حسن أمام طهران بوصفه جزءاً من التحول الذي سيجري على نطاق إقليمي أكبر^(٧٤)، فضلاً عن وجود قناعة أساسية في عدد من خطابات الولي الفقيه بأن إعادة التنظيم الإقليمي هذا أمر لا مفرّ منه، وهو جزء لا يتجزأ من التدهور التدريجي للقوى والحضارة الغربية في تنظيم يتزايد فيه تعدّد الأقطاب العالمية^(٧٥).

وعلى النقيض من ذلك، نجد أن الثورة السورية لم تلقَ هذا الترحيب، وهو أمر متوقّع إلى حدٍّ ما؛ إذ تمّ رفضها بشكل سريع؛ بسبب التنافر الفكري الذي أثارته على ضوء توصيف خامنئي للثورات العربية بوصفها (صحوّة إسلامية). وعلى عكس الأحداث التي وقعت في القاهرة، والبحرين، وتونس، وضعت الثورة السورية في موضع ازدراء، ونُدِّب بها بوصفها مؤامرةً أجنبيةً لتقويض (محور المقاومة)، ومن الصعب معرفة مقدار إيمان خامنئي بهذا الخطاب إذا اعتمدنا على المصادر العامة. وتجدر هنا الإشارة إلى أن خامنئي يصيغ خطابه ليلائم متطلبات الدوائر الانتخابية المختلفة في الساحة المحلية، وبناءً على ذلك يجب توخّي الحذر عند قراءة مثل هذه التصريحات، وتجنّب التسليم بها من دون تمحيص، وبذلك فمن المنصف أن نفترض وجود شكّ راسخ لديه تجاه السياسة الغربية، وقناعته بالنية الجشعة لديها في نهاية المطاف. ولأنّ خامنئي يرى الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة خطيراً، وأنه يشكلّ تهديداً لطموح الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيها، فأبى حدث أو قضية توفرّ ذريعةً جديدةً لهذا الوجود تصبح مشبوهةً، ويجب أن تقاوم^(٧٦). وقد خدم إعلان (داعش) ضربها أهدافاً إيرانية في الأشهر الأخيرة في تعزيز خطاب أن هذه المنظمة العسكرية الجهادية لديها عدد من الرعاة الغامضين الذين يكتنون البغض لطهران،

٧٤- انظر: بايام، محسن، «الصحوّة الإسلامية: خطاب إيران الكبير عن الثورات العربية»، موجز الشرق الأوسط، المركز الملكي للدراسات الشرق أوسطية، رقم ١٧، (إبريل ٢٠١٣م).

٧٥- «خامنئى: نظم نوين در حال شكل گیری است»، راديو فارادا، ٤ سبتمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/DK9g>.

٧٦- يؤكّد كبار القادة العسكريين في الحرس الثوري - بشكل معتاد- أن هدف إيران هو دفع الولايات المتحدة الأمريكية خارج المنطقة، خصوصاً من المناطق التي يوجد فيها نفوذ ومصالح إيرانية مهمة؛ مثل: العراق، والخليج، وبلاد الشام. «كزارش فارس از اظهارات اخير دريادار فدوى : خروج امريكا از خليج فارس از برنامههاى سپاه است»، فارس نيوز،

وعزّز ذلك خطاب المؤامرة الذي سعى خامنئي إلى فرضه على الأحداث^(٧٧).

«المنحدر الزلق» والمخيف: من حملة مكافحة الإرهاب إلى «تغيير النظام»

بناءً على كراهية خامنئي تعزيز الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة قام عدد من الرموز المحافظة البارزة في النظام والمقرّبة منه، مثل علي لاريجاني رئيس البرلمان، بانتقاد التحالف الدولي ضد (داعش) بشكل صريح، واصفينه بأنه لا يعدو كونه خدعةً لإتاحة الفرصة لتوجيه ضربة ضد سوريا، وتحويل الحملة ضد (داعش) إلى حملة لتغيير النظام^(٧٨). إنه باختصار المنحدر الزلق للتدخل الغربي الذي تهاهه كل أجهزة الدولة الإيرانية؛ فصي تقديرهم، الذي ربما يكون دقيقاً، ستجد أيّ حملة محدودة نفسها غير كافية، وهو ما سيقودها لا محالة إلى التوسّع خارجياً، ومن ثمّ ستصبح جزءاً من نداء أكبر لتغيير النظام^(٧٩). لهذا السبب - كما أسلفنا - أقرّ خامنئي بشكل لا لبس فيه أنه استخدم حقّ النقض ضد التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن (داعش)^(٨٠). وبغضّ النظر عن ذلك، فإنه يسهل تصوّر احتمال وجود تبادل استخباراتي محدود وتعاون بين الجانبين من خلال وسطاء في عدة مناطق ساخنة في العراق، أو حتى الزعم به؛ إذ يُفترض أن كلاً من نظام العبادي والحكومة الكردية الإقليمية حليفان لإيران والولايات المتحدة الأمريكية معاً^(٨١)، بينما تراقب إيران عمليات الولايات المتحدة الأمريكية في سوريا من كثب، بل تساعد الأسد على جني ثمار حملة القصف ضد (داعش).

٧٧- جاسم السلمي، «إيران تقول: إنها تتعرّض للهجوم من داعش»، ديلي بيس، ٩ أكتوبر ٢٠١٤م.

٧٨- لاريجاني در اختتاميه پنجمين نمايشگاه ملي كتاب دفاع مقدس: سپاه از قدرتمندترين نيروها در منطقه است»، أخبار فارس، ١ أكتوبر ٢٠١٤م.

٧٩- ما زالت إدارة أوباما تحاول وضع سياسة متّسقة حول هذه القضية. إليس لاوت، «يسعى أوباما إلى مراجعة جديدة لإستراتيجية سوريا في التعامل مع الدولة الإسلامية في العراق والشام والأسد»، سي إن إن، ١٣ نوفمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/hVckC>.

٨٠- سكوت لوكاس، «عدد إيران.. القائد الأعلى: رفضت العرض الأمريكي للتعاون حول العراق»، مجلة إي إيه وورد فيو، ١٥ سبتمبر ٢٠١٤، <http://cutt.us/ebm7>.

٨١- يجب عدم نسيان الدور البارز الذي يؤديه هادي العامري -رئيس منظمة بدر- ومن يعملون لديه في مجلس الوزراء العراقي، والحملة ضد داعش. سوزانا جورج، «كسر بدر»، مجلة فورن بوليسي، ٦ نوفمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/jE09k>.

إعادة إنتاج مذهب نيكسون من دون أهداف خفية أو طائفية سياسية متجذرة

من غير المستبعد أن تكون حكومة روحاني مستعدةً على الأقل لتقبل ترتيب شبيه بالمذهب الذي اتبعه نيكسون في الأيام الأخيرة لإدارته، حتى إن وجدت له أهدافاً خفية؛ إذ تعطي الجمهورية الإسلامية الإيرانية الضوء الأخضر لمتابعة السياسات مع شركاء إقليميين في العراق، والخليج، وبلاد الشام، باسم (الأمن والاستقرار)^(٨٢). ويبدو أن تفاهماً ضمناً كهذا شبيه بما يعنيه متخصصو مؤسسات الفكر المتصلة بالدولة الإيرانية، مثل مركز الأبحاث الإستراتيجية (الذي كان يرأسه روحاني إلى انتخابه رئيساً للبلاد)، عندما تحدّثوا عن الحاجة إلى إدخال الجمهورية الإسلامية الإيرانية في (البناء الأمني) للخليج والشرق الأوسط الكبير؛ حتى يكون هناك اعتراف بـ(سلطتها) واستقلالية تصرفها في ميادين نفوذها المتعددة. والمشكلة هنا تكمن في أن اعتماد إيران على لاعبين فرعيين، ووكلاء طائفيين، يجعل الاعتراف بحقوقها الإقليمية تأكيداً لطائفية المنافسة الإقليمية والصراع داخل الهلال الخصيب^(٨٣). كما أنه ليس من شأن هذا الاعتراف تأمين الدول أو الأطراف المتحمسة لفكرة بناء دول تضم الطوائف المختلفة، لكنه يدفع باتجاه التصدي للمنظمات الفرعية وأجنداتها الطائفية. وزدّ على ذلك أنه متى ظهرت هذه الميليشيات الطائفية فإنه من الصعوبة بمكان - إن لم يكن مستحيلًا - إعادة هذا المراد إلى القمقم؛ لأنهم سيظلّون على الساحة يعملون من أجل بسط نفوذهم ومصالحهم في المناطق والأحياء والمؤسسات المختلفة بشكل يحقق المكاسب الحزبية. وتشهد على ذلك قصة منظمة بدر خلال المدة التي تلت سقوط نظام صدام حسين في العراق. أما علناً، فقد أقرّت الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالطبع أنها تدعم وحدة الأراضي العراقية والسورية واللبنانية، وإحراقاً للحق فإنها وعدت مؤخراً بتقديم مساعدات عسكرية إلى الجيش اللبناني الذي يُنظر إليه إجمالاً

٨٢- هذا الأمر لا يعني القول: إن الفكرة ذات جدوى، أو يمكن تحقيقها على الساحتين السياسية، سواء أكانت المحلية الأمريكية أم الإيرانية. إنها في الحقيقة الاعتراف الأمريكي، والاعتراف من المجتمع الدولي الأكبر، الذي تطرّق إليه بشكل ما بعض النخبة من العناصر التكنوقراطية العملية داخل النظام.

٨٣- لم ينقد أحد الرموز (الداخلية) للنظام سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في سوريا، وتوليدها مناخاً طائفيًا، سوى سيد مصطفى تاج زاده - نائب وزير داخلية الرئيس خاتمي السابق- المسجون حالياً. لكن بسبب استمرار سجنه وتهميشه الكامل سياسياً منذ عام ٢٠٠٩م فإنه ليس في موضع يكتفه من التأثير في سياسة النظام في الوقت الحالي. «تاجزاده به خامنه ای: سیاست ایران در سوریه به جانگ شیعه و سنی می انجامد»، رادیو فاراد، ١٦ فبراير ٢٠١٣م،

على أنه مؤسسة جامعة ومنفصلة عن النظام السياسي اللبناني الطائفي. ولا يمكن استبعاد الجمهورية الإسلامية الإيرانية من المشروع العام لإعادة الاستقرار إلى العراق وبلاد الشام، لكن يجب مواجهتها بالسؤال: هل ستستمر الجمهورية الإسلامية الإيرانية في دعم المنظمات الطائفية الفرعية لتعظيم نفسها، وتحقيق النفعية السياسية المفتقرة إلى بُعد النظر، أو أنها ستساهم في مؤسسات وطنية تستطيع المساعدة على كسر هذه الحلقة الطائفية المفرغة؟!

وبسبب آثار التوسع المحتمل للحملة الأمريكية- الغربية في العراق وسوريا بشكل قد يتعدى الأهداف المحددة لها سلفاً، فإنه من غير المتوقع أن يسمح خامنئي بتعاون إيراني- أمريكي مفتوح، أو على نطاق واسع، على الرغم من تطابق المصالح عند بعض المنعطفات. وتشكل عدم الثقة المتبادلة، وتداعيات مثل هذه النقلة في السياسات، التي ستتأفي - في أغلب الظن - مع الموقع الجيوستراتيجي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في بلاد الشام، عائقين كبيرين أمام هذا النوع من التعاون، إلا إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية على استعداد لتأبغ منهج التعاون عن بُعد. ويعد احتمال اعتراف الولي الفقيه بالتعاون - حتى وإن كان محدوداً - أمراً غير وارد إن لم يكن معدوماً، ومع ذلك اعترف الفريق علي شامخاني -سكرتير المجلس الأعلى للأمن القومي- بأن خامنئي ردّ على بعض خطابات أوباما الأربعة^(٨٤)، وهذا الأمر يوحي بأنه على الرغم من قيود التعاون عبر الوساطة فقد تمّ فتح قناة متبادلة ومباشرة للتواصل بين زعميي الدولتين، إلا أن اتّخاذ المواقف العلنية الراضية للتعاون يخلق إلى حدّ ما لكلا الرئيسين درجة من الارتباط بطريق معين قد يصعب الخلاص منه.

وفي الوقت الذي تتطابق فيه إلى حدّ ما أهداف إيران والولايات المتحدة الأمريكية في العراق من المحتمل أن تكون هذه الأهداف على طرفي النقيض في سوريا. إن الطريقة الفضلى لتهدئة مخاوف خامنئي حول هذا الأمر قد تكون بإدخال نظام الأسد ضمن جهود الحملة ضد (داعش). ولن يكتفي مثل هذا التعاون بدعم جهود الأسد في إعادة سيطرته على مناطق لم يكن للنظام أن يستعيد سيطرته عليها بأيّ وسيلة أخرى، على الرغم من الدعم الإيراني، لكنه سيضعف أيضاً نظرية (تغيير النظام)؛ إذ سيصبح الأسد في نظر كلّ المتابعين البديل

٨٤- آراش كرامي، «مسؤول إيراني: تمّ الردّ على خطابات أوباما»، المونيتور، ١٢ نوفمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/4wUd> ; جاي سالومون وكارول إي لي، «كتب أوباما خطاباً سرياً لخامنئي بشأن قتال الدولة الإسلامية»، صحيفة وول ستريت جورنال، ٦ نوفمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/fiVs>.

الوحيد المعاد تأهيله لـ (دولة فاشلة) تضم كثيراً من فراغات القوة الحاضرة للجهادين. وعلى الرغم من هذه الرؤية، التي قد تكون مفرطاً في التفاؤل، ومستبقةً للنتائج فيما يتعلق بالمنظور الإيراني، إلا أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعلم جيداً كيف تمارس سياسة (أهون الشرين)، وقد أعدت -على أي حال- خطط طوارئ تحسباً لعدد من النتائج المحتملة، كما أنها فهمت عزوف إدارة الرئيس أوباما عن التورط في تدخل خارجي قد يجبره على وضع جنود على الأرض، وهو الأمر الذي يعزز رؤية خامنئي أن الولايات المتحدة الأمريكية في تدهور نهائي، وأن زمن التعددية القطبية الموزنة لهذا الثقل قد آن أوانه.

الحرس الثوري وقوة القدس.. العمق الإستراتيجي الحتمي

من البدهي - كما يتّضح من التحليل السابق - استحالة الفصل التام بين مواقف القيادة المدنية الدينية، وهي الولي الفقيه ورجاله، ومنسوبي الحرس الثوري. ويشرف خامنئي، بوصفه القائد الأعلى للقوات الإيرانية المسلحة، على الإستراتيجية العامة بشأن سوريا، ويمسك بدفتها، ومع ذلك يعطي خامنئي قاداته المعيّنين قدراً كبيراً من الاستقلالية في ميدان العمليات. ويجب هنا أولاً إيضاح أن المؤسسة العسكرية الإيرانية ترى بلاد الشام جزءاً لا يتجزأ من (العمق الإستراتيجي) للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويوفّر لها القدرة على التصدي للتهديدات العسكرية التقليدية وغير التقليدية، سواء من الولايات المتحدة الأمريكية أو من إسرائيل، ويساعدها على تحجيم قدرة المملكة العربية السعودية على بسط نفوذها، وقد أدلى بذلك صراحةً عدد من قادة الحرس الثوري الإيراني، كان آخرهم حجة الإسلام علي ساعدي -ممثل آية الله خامنئي الديني لدى الحرس الثوري- الذي استخدم مصطلح (العمق الإستراتيجي) بوضوح، إلا أنه شمل بحديثه أيضاً اليمن والعراق والبحرين ضمن البلدان التي تجد فيها طهران حلفاء لها، وتمارس فيها نفوذها^(٨٥). ونجد أن الجهاز



الولي الفقيه آية الله سيد علي خامنئي مع اللواء حسن فيروزآبادي (يسار) واللواء محمد علي جعفري (يمين)

٨٥- «علي سعدي، نماينده خامنه ای در سپاه: يمن، بحرين، عراق و لبنان مرزهای نظام هستند»، ديگريان، ١٦ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/nLwh>

الرسمي للشعبة السياسية للحرس الثوري الإيراني يتحدث أيضاً بهذا الأسلوب بشكل منتظم، بل إنه يؤكد أن هذا العمق الإستراتيجي ضروريّ لقدرة إيران على الردع^(٨٦)؛ لذلك فإن للحرس الثوري الإيراني -بطبيعة الحال- رؤية عسكرية إستراتيجية وتأثيراً مباشراً في الحرب الأهلية السورية وأثارها على حزب الله -حليف إيران الفرعي- الذي يعتمد بدوره على إيران والأسد معاً للحصول على المواد الضرورية للمحافظة على توازن القوى في لبنان والمنطقة كلها.

يعدّ هذا العمق الإستراتيجي ضرورةً للردع والحصول على النفوذ السياسي؛ إذ يمكن استثمار القوة لتحقيق مكاسب سياسية على الساحة الدولية، بل تعدّ هذه القوة ضرورةً لدعم تهديدات إيران العلنية والمنظمة بشنّ عمليات انتقامية في حال مهاجمة إسرائيل أو الولايات المتحدة الأمريكية منشأتها النووية أو العسكرية^(٨٧). لقد تعلّم قادة إيران دروساً من مفاعل تموز العراقي، و عملية أوبرا الإسرائيلية، عندما تقاعس صدام عن الردّ على قرار إسرائيل الأحاديّ بضرب منشآتة النووية في يونيو عام ١٩٨١م. وتماشياً مع هذه السياسة، تمّ تمرير السلاح والإمدادات إلى نظام الأسد ومناصريه من خلال ميناءي: اللاذقية، وطرطوس^(٨٨). وعبرت السفن الحربية الإيرانية قناة السويس في فبراير عام ٢٠١٢م مستفزةً بذلك إسرائيل، ورست في ميناء طرطوس حيث تملك روسيا أيضاً قاعدة بحرية مهمة^(٨٩). وقد صرّح أمير علي حاج زادة -قائد قوات الطيران في الحرس الثوري الإيراني- بأن للجمهورية الإسلامية الإيرانية تاريخاً متميزاً في تزويد دمشق بالصواريخ الباليستية، بل إنها قامت أيضاً ببناء مصانع لإنتاج الصواريخ^(٩٠).

وفي بداية الحراك، الذي أصبح بعد ذلك الانتفاضة السورية، وخلال المظاهرات الأولى في

٨٦- إسكندر صادقي بوروجردي، «مطبوعة الحرس الثوري الإيراني: هل يسعى الحرس الثوري إلى الحرب؟»، المونيتور: نيوز إيران، ١٢ أكتوبر ٢٠١٢م، <http://cutt.us/NdWH>؛ «اركان رسمي ادارة سياسى سپاه پاسداران: ايران اهرمها ي فشار زيادى عليه عربستان دارد»، ديكران، ٢٠١٤، October 28، <http://cutt.us/NS7S>.

٨٧- هناك من يرى أن هذا التهديد وصل ذروته إبان إدارة الرئيس جورج دبليو بوش، لكنه هداً كثيراً بعد انتخاب الرئيس باراك أوباما. وعلى الرغم من إصرار الأخير أن (كلّ الخيارات مطروحة) رأّت إدارة الرئيس أوباما أنه سيكون من الحكمة الاعتماد كلياً على الوسائل (الذكية)، التي انتهجتها رئاسة بوش بالفعل للإبطاء من البرنامج النووي الإيراني، ومثال على ذلك تساكست. انظر: ديفيد إي سانغر، واجه واخف: حروب أوباما السرية والاستخدام المفاجئ للقوة الأمريكية، (نيويورك: راندوم هاوس، ٢٠١٢م)، الافتتاحية.

٨٨- جوناثان سول، وباريسا حافظي، «إيران تعزّز دعمها العسكري في سوريا لدعم موقف الأسد»، رويترز، ٢١ فبراير ٢٠١٤م، <http://cutt.us/A0Quv>.

٨٩- «سفن إيران الحربية ترسو في ميناء طرطوس السوري»، الجزيرة، ٢٠ فبراير ٢٠١٢م، <http://cutt.us/Gb6v>.

٩٠- «فرمانده هوافضاى سپاه پاسداران: كارخانجات مشكى سوريه ساخت ايران است»، ب س فارسي، ١١ نوفمبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/nVsN>.

درعا، علّقت إيران آمالها على إعادة الهدوء بعدد قليل من الضحايا كما حدث خلال أزمة عامي ٢٠٠٩ و ٢٠١٠م، التي هزّت إيران عقب نتائج إعادة انتخاب الرئيس محمود أحمدي نجاد المشكوك فيها، والتي تمكّنت خلالها كلّ من: الأجهزة الأمنية الإيرانية، والقوات شبه العسكرية، ونظام القضاء والمحاكم، وشرطة مكافحة الشغب، من إعادة حالة من الاستقرار الحذر من دون الإعلان عن حالة طوارئ، إلا أن أساليب أجهزة الأمن السورية المتأصلة، التي لم تكن لتتغيّر على المدى القريب، سرعان ما سيطرت على الموقف، وقام نظام الأسد - في سعيه الحثيث لكيلا يظهر اللين أو الاستعداد لتقديم التنازلات - باللجوء المتكرّر إلى استخدام العنف بشكل مفرط وواضح، مع عدم اكتراثه بالضحايا المدنيين. نتيجةً لذلك سرعان ما تبدّدت رغبة إيران في وأد المظاهرات في مهدها، وانزلت الجمهورية الإسلامية الإيرانية - كما انزلت دول الخليج العربي وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية (وإن لم تكن ملتزمة التزاماً كاملاً) - إلى مواجهة عسكرية شاملة وحرب بالوكالة. دعمت كلّ هذه الأطراف بدرجات متفاوتة عدداً كبيراً من المجموعات المدنية والمعارضة المسلحة، التي كثيراً ما كانت على درجة متدنية من الكفاءة؛ بهدف إسقاط بيت الأسد. ولم يكن بالطبع الصراع الأهلي الممتد الذي آلت إليه الأمور يتّسق مع رغبات الجمهورية الإسلامية الإيرانية، لكنها استطاعت التأقلم مع صبغة الواقع والتعامل معه؛ بسبب خبرتها في الحرب غير التقليدية عشرات السنين.

الاتفاق الزائف حول النظام: أيرحل الأسد أم يبقى؟

مع ذلك لم يكن التزام إيران من دون حدود، ولن يكون كذلك؛ إذ يصعب على خامنئي صرف نظره عن المخاوف التي تحيط باقتصاده المحلي في ضوء الضغوط الغربية بسبب برنامجه النووي. وشملت هذه الضغوط عقوبات ضد البنك المركزي الإيراني، وهو ما أثر بشكل كبير في صناعة إيران النفطية وعائداتها. وتدرك إيران ومناقسوها الإقليميون، مثل المملكة العربية السعودية، هذه الحقيقة تماماً، وهذا الأمر لا شكّ في أنه السبب وراء قرار إيران استخدام مواردها العسكرية والسياسية بمهارة، بدلاً من خوض الحرب بثقل يكلفها كثيراً. لقد زار دمشق في عدة مناسبات اللواء قاسم سليمان - قائد قوة القدس - الذي يبدو أنه (قائد الظلّ) الموجود في كلّ مكان، ويتردّد اسمه على ألسنة الجميع^(٩١)؛ فقد قام بأول زيارة

٩١ - مشرق عباس، «رجل إيران في العراق وسوريا»، المونيتور، ١٢ مارس ٢٠١٣م، <http://cutt.us/aFUD>

معلومة له في يناير عام ٢٠١٢م للمساعدة على جهود نظام الأسد العسكرية، وإعادة احتلال المناطق المهمة^(٩٢). ومما يصعب استقراؤه حقيقة آراء سليمان الشخصية حول الصراع السوري، لكنه أشار خلال خطاب مهم ألقاه في فبراير عام ٢٠١٤م في مسقط رأسه في كيرمان إلى مقاومته فكرة إجبار بشار الأسد على التنحي: «إن سوريا نفسها هي محور الخلاف؛ إذ لدينا العالم كله في جانب، وإيران في الجانب الآخر؛ فبعض المتابعين يحب أن يقدم نظرية (فكرية) مبنية على أن هذا الرجل (بشار الأسد) يجب أن يتنحي، وأن يحل محله شخص آخر، ويقولون: دعونا نعدّه قد مات. إنهم يقولون ذلك لأنهم يجهلون حقيقة الأمر... والسبب الذي جعل أمريكا، والنظام الصهيوني، وتركيا، والسعودية، يصرون مدة ثلاثة أعوام متتالية على أن يغادر هذا الرجل سوريا. هنا أرى بوضوح دور الخوارج»^(٩٣).

ويبدو من تصريحات سليمان أن هناك خلافاً حول ما إذا كان يجب أن يبقى الأسد في منصبه، أو ينحى بهدوء؛ ليفسح المجال لشخص آخر يملك تاريخاً سياسياً غير ملوث، ويكون أقل إثارة للجدل. ومن المحتمل أن تكون (النظرية الفكرية) المشار إليها في حديث سليمان فكرة طرحها مسؤولو حكومة روحاني خلال اجتماع المجلس الأعلى للأمن القومي، أو يكون قد طرحها أمين المجلس نفسه. وخلافاً لرئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي، الذي أزيح من السلطة بموافقة إيران في أغسطس عام ٢٠١٤م، نجح بشار الأسد إلى الآن في تجنب المصير نفسه، وقد يكون ذلك عائداً -ولو جزئياً- إلى الحرس الثوري الإيراني، ومقاومة خامنئي أجهزة الدولة الإيرانية في هذا الشأن.

هل أصبحت سوريا فيتنام إيران؟

على الرغم من كونه أحد أكبر الضباط المسؤولين عن (الملف السوري) إلا أنه يحيط بسليمان^(٩٤) عدد من القادة الكبار. وإضافة إلى ذلك توجد أدلة دامغة على أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية نشرت قوات أرضية تابعة للحرس الثوري الإيراني إلى جانب قوة

٩٢- ويل فولتون، وجوزيف هوليداي، وسام واير، «إستراتيجية إيران في سوريا»، (تقرير مشترك، مشروع التهديدات الخطيرة لمعهد المشروعات الأمريكي ومعهد دراسات الحرب، مايو ٢٠١٣م)، ١٢.

٩٣- «بازخوانی انقلاب اسلامی به روایات حاج قاسم سلیمانی»، فارس نيوز، ١٦ فبراير ٢٠١٤م، <http://cutt.us/f3seB>. ويوضح دانيال لاف أن لفظ (خارجي، وجمعها: خوارج) استخدم لوصف الجماعات (المنشقة)، التي تثور على (السلطات الشرعية)، ويسعون إلى تمييز أنفسهم من بقية الأمة الإسلامية (والعقيدة المتبعة). دانيال لاف، الإسلام الأصولي وإحياء معتقدات العصور الوسطى، (كمبريدج: مطابع جامعة كامبريدج، ٢٠١٢م)، نسخة كيندل، ص ١٧٢ من ١٠٨٠١.

٩٤- «آيات الله خاتمي به تسنيم خبر داد: سرلشکر قاسم سلیمانی سختران ویژه چهاردهمین اجلاس مجلس خبرگان»، خبرگزاری تسنيم، ١٧ أغسطس ٢٠١٣م، <http://cutt.us/WmFp>.

القدس في سوريا^(٩٥)، كما قال ويل فولتون، وهو أحد منسوبي معهد المشروعات الأمريكية: «هذه حقيقة مهمة عندما نفكر في حجم القوة التي يمكن أن تستخدمها إيران في عملياتها العسكرية السرية في الخارج، خصوصاً أن القوات الأرضية هي أكبر خدمة قتالية يملكها الحرس الثوري الإيراني؛ فهي تضم ٣١ وحدة إقليمية، وعشر قواعد عاملة، وعدداً من الأقسام والكتائب القتالية. وتتولّى القوات الأرضية للحرس الثوري الإيراني مسؤولية الدفاع عن إيران في حالة حدوث اقتحام بري لأراضيها، كما تتولّى العمليات الأمنية الداخلية^(٩٦)». إن وجود القوات الأرضية للحرس الثوري الإيراني يدلّ على الدرجة المحتملة للاستثمار العسكري، الذي يمكن أن تقدّمه الجمهورية الإسلامية الإيرانية في نهاية المطاف، مع أن النشاط العملي الذي تقوم به فعلياً يبدو منخفض المستوى. وقد زعمت مصادر مقربة من الحرس الثوري الإيراني وجود نحو ٦٠-٧٠ قائداً من قادة قوة القدس داخل سوريا في أي وقت من الأوقات^(٩٧). ومع كون هذا الأمر التزاماً كبيراً إلا أنه لا يستوجب المقارنة التي يقوم بها بعض المحلّين عندما يصفون الحرب الأهلية السورية بأنها (فيتنام إيران)^(٩٨). ونشطت إدارة الاستخبارات التابعة للحرس الثوري الإيراني في سوريا نشاطاً ملموساً، ويشهد على ذلك الضحايا الذين أقرّت بهم المصادر الرسمية نفسها. وقد وقع آخر هؤلاء الضحايا الرفيعي المستوى، وهو العميد ثاني جبار داريسا في نائب رئيس مقرّ الاستخبارات المشتركة في كربلاء، في أكتوبر عام ٢٠١٤م^(٩٩). وأقرّ جواد كريمي قدوسي علناً، وهو عضو بارز في لجنة الأمن الوطني بمجلس الشورى الإيراني، بوجود (المئات) من كتائب الحرس الثوري الإيراني (تعمل خلف الأستار) في سوريا، وإن كان من المؤكّد عدم خلوّ حديثه من التهويل، حتى إنه زعم أنهم هم المسؤولون عن (انتصارات) الجيش السوري^(١٠٠). ويتّضح أيضاً أن الضباط الذين يتمّ نشرهم في سوريا يأتون من قيادات إقليمية مختلفة؛ لذا فهم يملكون عشرات السنين من الخبرة في التعامل مع الانفصاليين

٩٥- ويل فولتون، «الحرس الثوري الإيراني يكشف يده (الحقيقية) في سوريا»، مرصد إيه إي آي إيران، ١٤ يناير ٢٠١٤م، <http://cutt.us/CaIb>.

٩٦- المرجع السابق.

٩٧- سول وحافظي، «إيران تعزّز دعمها العسكري»، مرجع سابق.

٩٨- مارك فيتزباتريك، «لقد أصبحت سوريا فيتنام إيران.. فلنساعدنا على الهرب»، وكالة أخبار آبي إس، ٦ سبتمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/3dUk>.

٩٩- «مرگ فرمانده ارشاد سپاه به دست نیروهای تکفیری در سوریه»، راديو فاردا، ١٧ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/SeIb>.

١٠٠- «كريمي قدوسي، عضو كميسيون امنيتي ملي مجلس: جمهوري اسلامي صدها گردان نظامي در سوريه دارد»، ديگربان، ٤ نوفمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/p6NRQ>.

العراقيين، والجماعات المستقلة، والمسلحين السنة. عموماً، إن قيادة الحرس الثوري الإيراني على دراية كاملة بإستراتيجيات حروب الاستنزاف المنخفضة المستوى، وحرب المدن، وقمع التمردات التي لا تستدعي وضع أعداد كبيرة من القوات على الأرض كما يحدث في الحروب التقليدية. وقد أتضح بمرور الوقت مشاركة حزب الله اللبناني، وهو منظمة شيعية عالية التدريب تدعمها إيران ولها باع طويل في حرب العصابات غير التقليدية. في الحرب السورية الأهلية، ولربما وصلت مشاركة حزب الله إلى ذروتها خلال الانتصارات السالف ذكرها في مدينة القصور غرب سوريا. وُلد حزب الله -مثله مثل بقية الميليشيات السورية المتزايدة يوماً بعد يوم- من رحم الحرب الأهلية، ثم شكّله ودعمه الحرس الثوري الإيراني. وعلى الرغم من إجادة أعداد من المدربين والمستشارين الإيرانيين اللغة العربية ظلّ الحاجز اللغوي مشكلة؛ لذا أدى حزب الله دوراً حاسماً في تدريب الميليشيات المختلفة الموالية للأسد، إضافةً إلى إدارته العمليات القتالية على الأرض وإشرافه عليها. ومع ذلك لم تكن قناعات قيادات حزب الله أو التزامها مطلقةً أو مبنيةً على عدم تفكير؛ فعلى سبيل المثال: زعم الشيخ صبحي الطفيلي، الذي خدم في منصب الأمين العام لحزب الله بين عامي ١٩٨٩ و١٩٩١ م، في مقابلة أجراها مؤخراً: «كنتُ أميناً عاماً للحزب، وأعلم أن القرار إيراني، وأن البديل كان مواجهة مع الإيرانيين... أعلم أن حزب الله اللبناني، والسيد حسن نصر الله قبل الكلّ، ليسوا مقتنعين بهذه الحرب»^(١٠١). ومع أننا ما زلنا في انتظار تأكيد القيادات العاملة في حزب الله ادّعاءات طفيلي إلا أن هناك مؤشرات على أن سلوك نظام الأسد في هذا الصراع ليس بمنأى عن النقد (انظر ما سبق). وعلى كلّ، فإن حزب الله يعي تماماً أنه قد يخسر بالقدر نفسه الذي ستخسره إيران -إن لم يكن أكثر- إذا قُتل الأسد، وحتى إن كانت هناك شكوك حول درجة التزام حزب الله هذه القضية فيبدو أنها قد تبدّدت تماماً في اللحظة التي أصبحت فيها جبهة النصر (داعش) تشكّلان تهديداً للبنان، وبدأنا بشنّ هجمات معادية ضد الجيش اللبناني مباشرة^(١٠٢). لكن حزب الله دفع الثمن؛ فقد خسر كثيراً من الاحترام والتقدير اللذين حظي بهما على جانبي المعادلة الطائفية عدة سنوات؛ نتيجة حربه ضد إسرائيل، والدور المحوري الذي أدّاه في طرد الاحتلال الإسرائيلي من جنوب لبنان، وحرب الـ٢٣ يوماً مع إسرائيل عام ٢٠٠٦ م. تقف هذه الأسباب غالباً وراء تجنّب اعتراف حسن

١٠١- «تقرير خاص: يغامر حزب الله بكل شيء في سوريا»، سامية نخول، رويترز، ٢٦ سبتمبر ٢٠١٣ م، <http://cutt.us/0B2L>.

١٠٢- «الدولة الإسلامية في العراق والشام والنصرة يقاتلون الجيش اللبناني جنباً إلى جنب»، المنار، ٥ أغسطس ٢٠١٤ م.

نصر الله إلى إبريل- مايو عام ٢٠١٣م بمدى انخراط منظّمته في الحرب الأهلية، وهي الحقبة التي أصبح فيها الإنكار لا طائل منه.

استمرّت -مع ذلك- المصادر الإيرانية، العسكرية منها والمدنية، في إصرارها على أن دور الحرس الثوري الإيراني في سوريا لا يعدو كونه دوراً (استشارياً)، وهو لفظ أصبح يعني التدريب العسكري في سوريا وإيران، وجمع المعلومات الاستخباراتية، وتقديم الدعم اللوجستي، وإمدادات السلاح. كما أصبح الهدف الأساسي من وراء هذا الدور (الاستشاري) هو تأسيس قوة مقاتلة تظلّ مواليةً لنظام الأسد حتى في أحلك الظروف؛ بسبب التخوّف من ارتفاع عدد المنشقّين عن الجيش السوري في ذلك الوقت؛ حتى أصبحت الانشقاقات واقعاً يدعو إلى القلق المتزايد^(١٠٣). ومن المعروف -على سبيل المثال- أن الجيش السوري الحرّ استقطب كثيراً من هؤلاء المنشقّين، وهو ما كان دافعاً إلى تأسيس قوات الدفاع الوطني الموالية للنظام (المعروفة أيضاً بالجيش الشعبي). وتشير التقديرات إلى بلوغ هذه القوات أعداداً تراوح بين ٥٠ ألفاً و٧٠ ألف رجل وامرأة بحلول منتصف عام ٢٠١٤م، كثيرون منهم كانوا في بادئ الأمر مدنيين متطوّعين^(١٠٤). وينتمي كثيرون من أعضاء القوات إلى الأقليات السورية؛ مثل: العلويين، والمسيحيين، والدروز، الذين يهابون تبعات انتصار الإسلاميين السُنّة، وقد استغلّ الأسد هذه المخاوف مرّة بعد أخرى. ويتقاضى العاملون في قوات الدفاع الوطني رواتب منتظمة من النظام السوري، كما يتلقون المعدات العسكرية. واعترف عدد من المسؤولين العسكريين الإيرانيين بأنهم يقومون بدور (استشاري) تجاه قوات الدفاع الوطني، وأنهم يشكّلونها على شاكلة قوات الباسيج الإيرانية شبه العسكرية^(١٠٥)، التي تأسّست بأمر من آية الله روح الله الخميني عام ١٩٧٩م بوصفها ميليشيا شعبية مهمتها حماية النظام، وعلى رأسه المؤسسة الدينية، وقد انضمت تحت قيادة اللواء الجعفري (منذ عام ٢٠٠٧م إلى اليوم) إلى نظام قيادة الحرس الثوري الإيراني. وانضمت عناصر مهنية إلى صفوف قوات الباسيج خلال الحرب الإيرانية-العراقية، ووظفت جهودها في أعقاب الحرب التي استمرت ثمانية أعوام في إعادة الإعمار، والأمن

١٠٣- «إيران في سوريا»، ص ١٢.

١٠٤- «إيران في سوريا»، ص ١٧-١٨؛ كارين دي يونغ، وجوبي واريك، «إيران وحزب الله يكوّنون شبكة ميليشيات في سوريا حسب تصريحات بعض المسؤولين»، الجارديان، ١٢ فبراير ٢٠١٣م؛ جيم موير، «حزب الله يتعمّق في الصراع السوري»، أخبار بي بي سي، ٢٢ مايو ٢٠١٣م، <http://cutt.us/Xu3Oh>. ويبدو أيضاً أن العميد حسين حمداني -أحد قادة الحرس الثوري الإيراني، والمسؤول عن الملف السوري- أكد هذا الرقم. «حسين همداني، يك از فرماندهان سپاه: برای منافع انقلاب در سوریه می جنگیم»، ديگربان، <http://cutt.us/oLhK>.

١٠٥- «إيران في سوريا»، ١٢-١٤؛ دي يونغ وواريك، «إيران وحزب الله يكوّنون شبكة ميليشيات في سوريا».

الداخلي، وجمع المعارضة الداخلية.

تدعو التسريبات التي ظهرت في عدة مناسبات وعدد من الجنازات في مناطق إيرانية مختلفة إلى بعض الأسئلة حول الطبيعة المحددة للدور (الاستشاري) الذي يؤديه الحرس الثوري الإيراني، فضلاً عن ذكر عدد (شهداء) الحرس الثوري الذي قارب المئات^(١٠٦). وألقى الجيش السوري الحر القبض على ٤٧ مواطناً إيرانياً في أغسطس عام ٢٠١٢م^(١٠٧)، أعلنت بعدها الجمهورية الإسلامية الإيرانية أنهم حجاج شيعية، وأبدى نظام الأسد استعداداه



قائد الحرس الثوري اسماعيل علي تقي حيدري، teribon.ir

للإفراج عن ٢,١٣٠ سجيناً مقابل الإفراج عن هؤلاء، وهو الأمر الذي يؤكد انخراط الحرس الثوري الإيراني المباشر في الصراع، وقدرة إيران على التأثير في دمشق^(١٠٨). وخلصت إحدى التحقيقات إلى أن تسعة على الأقل ممن أُلقي القبض عليهم كانوا ضباطاً عاملين في الحرس الثوري الإيراني، بينهم العميد ثاني عابدين خرم قائد قوات الحرس

- ١٠٦- «فرمانده پیشین سپاه پاسداران از مدافعان حرم در سوریه کشته شد»، راديو زمانه، ٢٨ مايو ٢٠١٤م، <http://cutt.us/EvzF8> «تشیيع پیکر پنج مدافع حرم زینب در مشهد»، دیگران:PhTB، October 2, 2014. الاعتماد على القادة الإقليميين أمر مثير للاهتمام في حد ذاته، ويتسق مع رؤية اللواء محمد علي جعفري عندما قام بإعادة هيكلة الحرس الثوري الإيراني للمرة الأولى عام ٢٠٠٧م، وهذا الأمر أدى إلى دمج قوات الباسيج شبه العسكرية مع الحرس الثوري، وأولى اهتماماً بالأقاليم التي رؤي أنها أكثر ميلاً إلى الصراعات الدينية والعرقية التي قد تؤججها قوات خارجية. علي الفونه، «كشف إيران: كيف يحول الحرس الثوري الحكم الديني إلى ديكتاتورية عسكرية؟»، نسخة كيندل، ص١٠٦٢ من ٥٤٣٤.
- ١٠٧- توم شانكر، وداميان كيف، «توار سوريون يُقال: إنهم يحتجزون مقاتلين إيرانيين رفيعي المستوى»، نيويورك تايمز، ١٥ أغسطس ٢٠١٢م، <http://cutt.us/LQNI>.
- ١٠٨- علي الفونه، «حُجَّاج أم مرتزقة؟ الجيش السوري الحر يطلق سراح رهائن إيرانيين»، (نشرة سياسات إف دي دي، ١٥ يناير ٢٠١٣م)، <http://cutt.us/p3tBR>؛ فولتون، «الحرس الثوري يظهر يده (الحقيقية)»، تحقيق موقع ديفاربان، وهو موقع باللغة الفارسية يبيّن من الخارج بشكل مستقلّ من عدد من استنتاجات الفونه وفولتون. «هويت هفت اوز آزاد شده سپاه مشخص شد»، دیگران، ١١ يناير ٢٠١٣م، <http://cutt.us/yL21C>. أكد وزير خارجية إيران في ذلك الوقت -على الرغم من إنكار نائبه- أن بعض (الحجاج) الرهائن كانوا ضباطاً متقاعدین من الحرس الثوري والجيش الإيراني. «صالحی چند گروهان ایرانی در سوریه را بازنشاشته سپاه و ارتش دانست»، راديو فاردا، ٧ أغسطس ٢٠١٢م، <http://cutt.us/R21Fc>. ويبدو أيضاً أن محمد تقي أوسانلو -قائد قاعدة عمليات حمزة سيد الشهداء في الحرس الثوري- أكد ذلك عند إطلاق سراح الرهائن الإيرانيين، وعودتهم إلى إيران. «فرمانده قرارگاه عملیاتی» حمزه سيد الشهداء «سپاه: ٢٨ زائرین رپوده شده در سوریه بسپج بودند»، دیگران، ١٦ يناير ٢٠١٣م، <http://cutt.us/3qa0p>.

الثوري في غرب أذربيجان^(١٠٩). كما أن أحد الفيديوهات الأكثر إثارةً هو الفيديو الذي حصل عليه الثوار السوريون (كتيبة الداود على وجه التحديد)، وقيل: إن تصويره تمّ على يد أحد الصحفيين الإيرانيين الموجودين داخل الحرس الثوري، الذي قُتل لاحقاً في كمين نصبته قوات المعارضة بالقرب من حلب، ويظهر الفيديو أحد قادة الحرس الثوري، واسمه إسماعيل علي تقي حيدري، وهو يتفاخر بدعم إيران المقاتلين الموالين للأسد، وأنهم تلقوا تدريباتهم في إيران نفسها، بل يظهره الفيديو وهو يشارك في القتال ضد قوات المعارضة السورية^(١١٠). وتمّ التحقق من وضع هذا القائد عندما نشرت مؤسسة الحرس الثوري ومصادر أخرى خبر وفاته^(١١١)، وتمّت تغطية جنازته في أغسطس عام ٢٠١٣م في أمول بمزاندران^(١١٢). كما أن اغتيال العميد حسن شاطري، وهو ضابط من قوة القدس له تاريخ طويل في التعاون مع حزب الله اللبناني، الذي قيل: إنه قُتل وهو في طريقه من دمشق إلى لبنان بعد عودته من حلب، يُبرهن على انخراط الحرس الثوري الإيراني على أعلى مستوياته في الصراع، بل يبرهن أيضاً على وجود صلات محتملة بين البرنامجين الكيميائيين في كلٍّ من سوريا وإيران^(١١٣).

كثرة الميليشيات الطائفية: هل هي كروت للعب في موازين القوى؟

هناك ادّعاءات إضافية بأن الحرس الثوري أدى دوراً محورياً في تمويل ميليشيات أفغانية وتدريبها (مثل كتيبة الفاطميين)، وأخرى شيعية عراقية (مثل كتيبة أبي الفضل العباس، وعصائب أهل الحق، وكتائب حزب الله، ومنظمة بدر)^(١١٤)، بدعوى الدفاع عن المواقع

١٠٩- الفونه، «حُجّاج أم مرتزقة؟».

١١٠- «فيديو من سوريا يسلط الضوء على دور إيران»، أخبار بي بي سي، ٣٠ أكتوبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/UJyeR>.

١١١- «فيلم: سردار شهيد اسماعيل حيدري در سوريه چه می کرد»، تربيون مستضعفين ١٥ سبتمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/SQMhI>؛ «تشيع و خاكسپاری شهدای عملیات تروریستی سوریه در ٣ شهر»، اطاعات، ٢٢ أغسطس.

١١٢- «مراسم تشييع جنازه سردار شهيد اسماعيل حيدري»، هراز نيوز، ٢١ أغسطس ٢٠١٤م.

١١٣- فولتون، وهوليداي، واير، «إستراتيجية إيران في سوريا»، ص ٣٣؛ جيمس بول، «زادت سوريا مخزونها من الأسلحة الكيميائية بمساعدة إيران: عرض مستندات»، واشنطن بوست، ٢٧ يوليو ٢٠١٣م، <http://cutt.us/LvkQB>. «تشير الأدلة إلى تأدية سوريا دوراً في الهجوم الكيميائي على مدينة الغوطة السورية في ٢٠١٣م»، نعمه شام، ١٩ أغسطس ٢٠١٤م، <http://cutt.us/U3UcB>.

١١٤- سؤدد الصالحي، «مسلّحون عراقيون وشيعة يقاتلون لأجل الأسد في سوريا»، رويترز، ١٦ أكتوبر ٢٠١٢م، <http://cutt.us/b7AlI>؛ سؤدد الصالحي، «شعبة العراق ينفرون لمساندة الأسد مع زيادة الانقسام الطائفي»، رويترز، ١٩ يونيو ٢٠١٣م، <http://cutt.us/6770>؛ مارتن تشالوف، «الميليشيات القاتلة التي تسيطر عليها إيران تجنّد رجال العراق ليموتوا في سوريا»، الجارديان، ١٢ مارس ٢٠١٤م.

الدينية الشيعية داخل دمشق وحولها^(١١٥)، وأن إستراتيجية (التعاقد من الباطن) لا تعني بالضرورة أنه يتعدّد على الحرس الثوري العثور على أفراد مستعدين للقتال في سوريا، وإنما تعني بالأحرى أن الحرس يختار حلاً (أقلّ تكلفةً)، وهذا الأمر سيمكّنه من المشاركة في حرب استنزاف تمتد مدةً زمنيةً أطول، يتجنّب فيها التضحية غير الضرورية برأس ماله البشري (التمين)^(١١٦). كما أن هناك ادّعاءات أيضاً بقيام الحرس الثوري الإيراني، وحزب الله، بدور في دعم ميليشيات الشبيحة التابعة لنظام الأسد وتدريبها، وهي الميليشيات التي يهاجها كثيرون^(١١٧)، والمسؤولة عن هجمات غاشمة ضد المدنيين السنّة^(١١٨). وقد ذاع صيت هذه الميليشيات تحت قيادة باسل الأسد، ثم لاحقاً تحت قيادة ماهر الأسد قائد الفرقة الرابعة في الجيش السوري، كما قادها



الأعضاء المزعومون في كتيبة الفاطميين، ABNA.ir

ابن خال الرئيس ذو السمعة السيئة رامي مخلوف. واقتصرت أنشطة الشبيحة المشبوهة قبل الحرب الأهلية على التهريب وابتزاز الأموال في مدينة اللاذقية الساحلية ذات الأغلبية العلوية^(١١٩)، لكن الشبيحة مُنحوا دوراً أكثر أهمية عندما بدأ النظام في

١١٥- فرنانز فصيحي، «إيران تدفع الأفغان ليقاتلوا لمصلحة الأسد»، وول ستريت جورنال، ٢٢ مايو ٢٠١٤م، <http://cutt.us/8VI3H>; us/uGHu ; فيليب سميث، «بولسي ووتش ٢٠١٤: مقاتلو إيران الأفغان الشيعة في سوريا»، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، ٣ يونيو ٢٠١٤م، <http://cutt.us/CE1SY>; «١٠ مهاجر افغان مقيم ايران، شهيد دفاع از حرم حضرت زينب در سوریه»، خيرگذارى تسنيم، ٢٧ نوفمبر ٢٠١٣م، <http://cutt.us/1j1Z>; جاسم السلامي، «إيران تجبر الأفغان الفقراء على القتال والموت في سوريا»، الحرب مملّة، ٢٢ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/ekVR>.

١١٦- تحدّث كيفان هاريس -في سياق مختلف تماماً- عن الدولة الإيرانية، وميل الحرس الثوري الإيراني إلى التعاقد من الباطن على المشروعات الاقتصادية المتعددة، التي يُسمّيها (سياسة شبه الخصخصة). أقترح أن ننظر مؤقتاً إلى عملية نشر الحرس الثوري المقاتلين الأجانب بالنظرة نفسها. انظر: كيفان هاريس، «نشأة دولة التعاقد من الباطن: سياسات شبه الخصخصة في جمهورية إيران الإسلامية»، الصحيفة الدولية لدراسات الشرق الأوسط، ٤٥م، ٢٠١٣م، ص٧٠-١١٧. يجب التنويه إلى أنه من عدم الدقة الزعم بأن الشبيحة مكوّنون من العلويين فقط، حتى وإن كان أغلبهم كذلك، إلا أنه خطأ يقع فيه بعض المحلّلين.

١١٨- «مجزرة الحولة: الأمم المتحدة تلقي باللوم على القوات السورية والميليشيات»، أخبار بي بي سي، ١٥ أغسطس ٢٠١٢م، <http://cutt.us/8VI3H>.

١١٩- «رؤية: مقاتلو عصائب الحكومة السورية يُرسلون إلى إيران لتلقّي التدريبات»، رويترز، ٤ إبريل ٢٠١٣م، <http://cutt.us/VzcmI>; هيو ماكلود، وأناسوفي فلانماند، «سوريا: عضو وحشي وعنيف من ميليشيات الشبيحة يقرّ بالحقيقة»، جلوبال بوست، ١٥ يونيو ٢٠١٢م، <http://cutt.us/c7III>.

التهاوي، خصوصاً عندما تولّى ماهر ومخولف قيادة عملية تحويل الميليشيات إلى قوة ردع لصد المعارضة بوحشية^(١٢٠).

تُوجد وجهات نظر ترى أن تدخل إيران وحزب الله في هذه الجبهة قد يكون جزءاً من سياسة بعيدة المدى تعدّ لعزل الأسد من منصبه في نهاية المطاف؛ إذ تحتفظ إيران بالقوة والنفوذ في المدن الساحلية المهمة ومقاطعات الأقليات، وهي طريقة تستطيع بها الاستمرار في المدّ، والاحتفاظ ببوابتها على بلاد الشام والمتوسط. وهذا الأمر لا يعني حتماً أن إيران تعتقد أن نظام الأسد على وشك الانهيار، لكنه يعني بالأحرى أنها قد أعدت لنفسها عدداً من خطط الطوارئ للحفاظ على الأصل الإستراتيجي الضروري^(١٢١).

على الرغم من وجود مجموعة صغيرة من الشيعة الاثني عشرية المتفرقة داخل سوريا إلا أنه يبدو أن الصراع حفز تدفق المقاتلين الشيعة الأجانب ممن تركّزوا داخل مقامي السيدة زينب والسيدة رقية وحولهما، وهما المقامان اللذان كانا دوماً قبلة الحجاج والسياح الإيرانيين أكثر من غيرهم^(١٢٢). ويبدو أن هؤلاء المقاتلين الأجانب، الذين تجمّعوا في مناطق المقامين، خليط من المتزمين دينياً وفكرياً، لكنهم موجودون جنباً إلى جنب مع من دخلوا الحرب مقاتلين، سواء دخلوا بالتهديد أم كانوا طامعين في مكاسب مادية. وقد أدّى الحرس الثوري دوراً حاسماً في تأسيس منظمة (المدافعون عن مقام السيدة زينب)، لكن هناك دلائل على أن المقاتلين الأجانب وصلوا مع وحدات ذات قيادة إيرانية إلى مناطق خارج دمشق في شمال سوريا وغربها، خصوصاً في المناطق المحيطة بحلب وحمص^(١٢٣). وكما هو الحال مع الجيش الشعبي، حاول الحرس الثوري الإيراني تدريب مجموعة من الأفراد غير النظاميين وغير المحترفين وتجهيزهم، في محاولة لجعلهم قوة مقاتلة محترفة ومنضبطة، فكانت النتائج متفاوتة.

هل ضاق الحرس الثوري الإيراني من انعدام الكفاة العسكرية السورية؟

لم تكن مهمة تنظيم جماعات موالية للأسد وتسليحها سهلة؛ فقد ظهر في الأفق - في عدة

١٢٠- سلوى عمور، وروث شيرلوك، «كيف أوجد بشار الأسد ميليشيات الشبيحة التي يخاف منها الجميع: شخص من الداخل يتحدث»، التليجراف، ٢٣ مارس ٢٠١٤م، <http://cutt.us/n7z3R>.

١٢١- دي يونغ، وواريك، «إيران وحزب الله يبنون شبكات ميليشيات».

١٢٢- فون مالتزاهن، محور سوريا- إيران، الفصل ٧.

١٢٣- «فرمانده پيشين سپاه پاسداران از مدافعان حرم در سوریه كشته شد»، راديو زمانه، ٢٨ مايو ٢٠١٤م،

<http://cutt.us/3mKa> ; «إيران تجبر الأفغان الفقراء على القتال».

مواقف- ضيق إيران من تكرار عودة القوات العسكرية والأمنية السورية إلى العنف الغاشم. ومع ذلك لا يبدو هذا الموقف مستنداً إلى أي نوع من التعاطف الخاص، إنما هو مبني على قناعة بأن مثل هذه السياسات ستعود بنتيجة عكسية على (معركة القلوب والعقول)، ومن شأنها التسبب في نفور السواد الأكبر من السوريين ممن هم أصلاً ناقدون وغازبون من الأحداث التي تلت ربيع عام ٢٠١١م، لكنهم غير مستعدين للمشاركة في التمرد المسلح ضد النظام. أصبح هذا الموضوع قضية في أكثر من موقف، لدرجة أن العميد إسماعيل قاني -نائب قائد قوة القدس التابعة للحرس الثوري- صرّح في مايو عام ٢٠١٢م بأنه لو لم تكن إيران موجودة في سوريا لارتفعت أعداد القتلى بين المدنيين بشكل أكبر، وهو بمنزلة نقد غير مباشر لأسلوب الحكومة السورية في إدارة الحرب^(١٢٤). كما اعترف نائب قائد قوة القدس بعد عامين في مايو عام ٢٠١٤م بعدم رضا جزء من الشعب السوري عن الحكومة، وحضّ الحكومة على معالجة أسباب هذا السخط في أسرع وقت ممكن، مع إصراره على أن الصراع السوري لا علاقة له بهذا السخط^(١٢٥).

هناك مزاعم بأن المشرف على هذه العملية هو العميد حسين همداني أحد قادة الحرس الثوري الإيراني، الذي أدى دوراً حاسماً في الحملة التي تبعت انتخابات ٢٠٠٩-٢٠١٠م في إيران، التي سحقت ما سُمّي وقتها بالحركة الخضراء بقيادة اثنين من رجالات النظام القدامى: مير حسين موسوي، وحجة الإسلام مهدي كروبي، رئيسي الوزراء والبرلمان السابقين على الترتيب^(١٢٦). ومن اللافت للنظر أن نجم همداني سطع أول مرة عندما أدى دور أحد مؤسسي الحرس الثوري الإيراني في كردستان؛ لصلوعه في قمع المندادين بدولة كردية عرقية، والمندادين بالالتحام الذاتي، وكذلك القوات اليسارية في السنوات الأولى للثورة الإيرانية^(١٢٧).

١٢٤- «جانشين نيرو قدس: اگر ایران در سوریه حضور نداشت کشتار چند برابر می شد»، بازتاب امروز، ٢٧ مايو ٢٠١٢م، <http://cutt.us/oAEU>.

١٢٥- «جانشين فرمانده نيرو قدس سپاه: امريکا از قدرت ايران واهمه دارد»، فارس نيوز، ٢٣ مايو ٢٠١٤م، <http://cutt.us/ATdP>.

١٢٦- «پس از دو سال جنگ در سوریه در دفاع از بشار اسد نام فرمانده ميدانی سپاه در سوریه اعلام شد»، ديگران، ٥ أكتوبر ٢٠١٤م، <http://cutt.us/8Ew1> «مرتضى نيك پندار، فرمانده سپاه تهران بزرگ کیست؟» جرس، ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٩م، <http://cutt.us/RDWD> «تازه ترین سخنان سردار همدانی در مورد سوریه»، ایسنا، ٢٧ يونيو ٢٠١٤م. من الجدير بالذكر أيضاً أن إيران أرسلت العميد أحمد رضا رادان -نائب قائد قوة إنفاذ القانون LEF- إلى دمشق في إبريل عام ٢٠١٢م لتقديم النصح إلى مديرية الاستخبارات العامة السورية حول السبل الأكثر فاعلية في التصدي لمظاهرات المعارضة والمقاومة. وكانت قوة إنفاذ القانون قد تعرضت للنقد اللاذع من وزارة الخزانة الأمريكية لدورها القمعي في أثناء المظاهرات الشعبية التي تلت انتخابات عام ٢٠٠٩م في إيران. كما أن الدور الذي تؤديه قوة إنفاذ القانون يدين المرشد الأعلى والمجلس الأعلى للأمن الوطني؛ إذ تقف مسؤولة أمامهما في نهاية المطاف. فولتون، وهوليداي، وواير، «إستراتيجية إيران في سوريا»، ١٣-١٤.

١٢٧- «مرتضى نيك پندار، فرمانده سپاه تهران بزرگ کیست؟» جرس.

وتحدث همداني في مايو عام ٢٠١٤م بصراحة عن دور إيران في تكوين (حزب الله ثانٍ)؛ أي: قوات الدفاع الوطني، في سوريا، كما تحدّث عن قدرتها على المشاركة في حرب المدن، التي ادّعى أنها أدّت إلى خفض أعداد الضحايا^(١٢٨). وعلى الرغم من تبجّح همداني الواضح في هذا التصريح إلا أنه -بسبب المفهوم السائد حول عدم كفاءة الجيش السوري وقوات الدفاع الوطني- يمكننا افتراض وجود تأثير كبير للحرس الثوري الإيراني، ليس فقط في رفع مستوى احترافية القوات، وإنما أيضاً في استقطاب حلفاء يمكنهم بعد ذلك تأدية دور بوصفهم جزءاً من مستقبل سوريا السياسي المتشرذم. لقد اعتمدت العسكرية السورية على عمليات القصف الجوي المكثّف، والبراميل المتفجرة، التي كانت لها آثار مدمّرة من حيث أعداد الضحايا المدنيين، والتي يبدو أنها ارتفعت وتيرتها منذ بداية عام ٢٠١٢م إلى الآن^(١٢٩)، وهو ما يكذب ادّعاءات همداني بأن تدخل إيران كان إيجابياً، وساعد



القائد حسين همداني، Basijpress.ir

على خفض أعداد الضحايا بين المدنيين. وأشار همداني في الخطاب نفسه إلى أن دور إيران في الصراع السوري يرتقي إلى دورها خلال حرب الثمانية أعوام مع العراق، المشار إليها في دوائر النظام بـ(الدفاع المقدس)^(١٣٠). ويوضّح الادّعاء أن كبار ضباط الحرس الثوري أصبحوا أكثر جرأة

١٢٨- «فرمانده ارشاد سپاه: ايران حزب الله دوم را در سوریه تشکیل داد»، ب ب س فارسی، ٥ مايو ٢٠١٤م، <http://cutt.us/ufxi>.

١٢٩- «سوريا: وابل من البراميل المتفجرة.. هجمات على المدنيين تحدّي قرار الأمم المتحدة»، هيومان رايتس واتش، ٣٠ يوليو ٢٠١٤م، <http://cutt.us/05qE>.

١٣٠- «فرمانده ارشاد سپاه».

على الدفاع عن وجود الحرس الثوري في سوريا، وعن الأطراف التابعة للدولة، وغيرهم من المتعاطفين مع أجندة إيران الإقليمية.

الخلاصة

يتضح مما سلف عن سلوك المؤسسات الإيرانية، وسياساتها، ومواقفها المعلنة من الصراع السوري، أن هناك اختلافات مهمة بين النخبة الإيرانية، حتى وإن لم تكن هذه الخلافات جذرية يصعب تخطيها. إن اختلاف الأسلوب والتعبير بين رموز الدولة الإيرانية ليس فقط دليلاً على الاختلافات المؤسسية، بل إنه نتاج لاختلاف اللغات، والثقافات المؤسسية، والأولويات، والجمهور، ويقع هذا الجدل في صميم طبيعة صنع القرار، ويعدّ أمراً عادياً. وفي نهاية المطاف، لا يمكن أن تقوم إيران بنقلة إستراتيجية في موقفها من دون حدوث تعديل على القرار الجمعي للنخبة الداخلية، وهي النخبة التي يملك فيها بعض الشخصيات، لاسيما مكتب المرشد الأعلى وكبار قادة الحرس الثوري وقوة القدس، ثقلاً أكثر من غيرهم. ومع ذلك تظلّ الضرورة الإستراتيجية لمصلحة إيران في سوريا مسألة غير قابلة للجدل، بينما يدور الجدل واقعياً حول مدى إمكانية إنقاذ حليف إيران، وعلى أي شكل يكون هذا الإنقاذ؟ وهل سيرحل الأسد؟ ومتى سيرحل؟ وهل يجب الحفاظ على بقايا نظامه المتعاطفين مع إيران؟ وكيف يمكن ذلك؟ يبدو أنه في الوقت الذي يستمرّ فيه الجدل بين صانعي القرار الإيراني حول جدوى الاستمرار في مساندة شخص الأسد نجح الحرس الثوري الإيراني في احتفاظه بالنفوذ داخل سوريا عن طريق استثماره الكبير في تدريب الميليشيات الموالية للأسد وتنظيمها حتى إن سقط، وهي نهاية تبدو في المرحلة الحالية غير واردة في ضوء استمرار تحفّظات إدارة الرئيس أوباما. لقد ضمنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية وجود أوراق كثيرة في يدها تسمح لها بالمساومة، وضمان عدم إقصائها من أي عملية مستقبلية، حتى إن توصلت الإدارة الأمريكية إلى قناعة بأن محاربة الدولة الإسلامية في العراق والشام ومن هم على شاكلتها أمر لا يمكن فصله عن العمل على إيجاد حلّ سياسي حقيقي شامل، والانتقال إلى سوريا ما بعد الأسد. وتماشياً مع هذه الرؤية، ستستمرّ وزارة الخارجية الإيرانية والمجلس الأعلى للأمن القومي في العمل من الزاوية الدبلوماسية للدفع باتجاه إقحام إيران في العملية الدبلوماسية، وإن كان بشروط تتسق مع سياسة طهران حول سوريا. وإشارة إلى ما قيل في بداية هذه الورقة، ليس من المتوقع حدوث نقلة نوعية في سياسة إيران تجاه سوريا ما دامت

الموازنة العسكرية تصبّ في مصلحة الحكومة السورية، ويظلّ الجهاديون المتطرّفون من تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وجبهة النصرة هم البديل الوحيد لديكتاتورية الأسد. إن وزارة الخارجية الإيرانية تحديداً تدرك تماماً أن الولايات المتحدة الأمريكية ستفضّل العمل مع شيطان تعرفه على شيطان تجهله، وبمعنى آخر: ستقبل دولة الأسد الأمنية؛ لكيلا تفتح على نفسها صندوق باندورا، الذي يبدو أنه مملوء بالإسلاميين المتطرّفين. وعلى الرغم من بزوغ فجرها على صورة من الإسلام الشيعي المتطرّف ذي الطموحات الإقليمية تقبّلت الجمهورية الإسلامية الإيرانية في نهاية عمر الخميني -على أساس رسمي- نظام الدولة والأنماط الأساسية للنظام الدولي، حتى وإن بقيت بعض الاختلافات التي استعصت على الحل. تعلم إيران أنه بإمكانها اللعب على وتر الخوف من المجهول، ومن قوى مثل الدولة الإسلامية في العراق والشام، التي ترغب في قلب هذا النظام رأساً على عقب، وهي بهذه الطريقة يمكنها العمل على تقويض طموحات الغرب -وربما تغطرسه- في قضية تغيير النظام في سوريا. وفي الوقت نفسه، يبدو أن إيران بدأت تعي فكرة أن بشار الأسد قد لا يتمكّن أبداً من بسط حكمه على كامل سوريا كما فعل أبوه؛ فبعد عقود من تحالف ذي أهمية إستراتيجية قصوى مع سوريا أصبح صانعو القرار الإيرانيون يواجهون اليوم سؤالاً جوهرياً لا يمكن الفرار منه، وهو: ما القيمة الحقيقية للتحالف مع نظام الأسد الآن وهو مُحاصر من كلّ الجوانب؟.

سيستمر المرشد الأعلى آية الله خامنئي في معارضة الوجود العسكري الغربي في المنطقة، الذي يراه -كما يراه الحرس الثوري الإيراني- عائقاً أمام مخطّطات إيران للسيطرة على المنطقة، لكنهم مع ذلك سيستمرون في ترقيّب اعتراف واشنطن بـ(الحقوق) التي ترى إيران أنها ملك لها في الخليج، وبلاد ما بين النهرين، وبلاد الشام. كما سيستمر الحرس الثوري الإيراني وقوة القدس في العمل داخل الخطوط العريضة للسياسة التي يضعها المرشد الأعلى، وسيستمران في اتباع مذهبها الإستراتيجي في استقطاب الحلفاء، الذين غالباً ما يكونون فاعلين منفصلين عن الدولة في دول ضعيفة بها فراغات قوة، وتعزيزهم^(١٣١). إنهم الأطراف الذين ستعمل معهم إيران لضمان عمقها الإستراتيجي في مواجهة ما تراه من تهديدات ضدها من دول على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، ومن كبار منافسيها الإقليميين في

١٣١- يمكن رؤية هذا الأمر أيضاً في العراق، وفي اعتماد نوري المالكي على ميليشيات الشيعة لحماية بغداد. كوكبيرن، عودة الجهاديين، ص ١٢.

الشرق الأوسط، وهم: إسرائيل، والمملكة العربية السعودية^(١٣٢)، وستستخدم إيران هؤلاء الفاعلين إلى أقصى درجة ممكنة، ليس فقط لتضمن اتزان القوة في المنطقة، لكن أيضاً لتكسب تنازلات إذا تهيأت الظروف، وفتح الطريق في النهاية أمام الخيارات السياسية. إلى أن تحين تلك اللحظة، سيظلّ المستنقع الوحشي للحرب الأهلية الفوضوية يعجّ بما فيه، وستستمر رحى الحرب دائرةً كما دارت على مدى الأعوام الأربعة الماضية، وسيكون ضحاياها - كما كانوا منذ البداية - مدنيين أبرياء دُمّرت حياتهم السابقة، وأصبح مجتمعهم مجتمعاً متشرذماً، فيه الموت والرعب والحرمان هي صفات الحياة اليومية.

١٣٢- لتحليل متّصل بهذا السياق انظر: إف جريجوري جوز الثالث، «ما بعد الطائفية: الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط»، (تحليل بروكينجز الدوحة، الورقة رقم ١١، يوليو ٢٠١٤م)، <http://cutt.us/SxR0>.

نبذة عن الكاتب

د. إسكندر صادقي بروجردي هو باحث رئيس في وحدة الدراسات الإيرانية في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

وحصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الشرق أوسطية الحديثة في كوينز كوليدج، جامعة أكسفورد مركزاً على التاريخ الفكري والسياسي الإيراني بعد الثورة. عمل كمحاضر مساعد في جامعة اكستر، حيث درّس فيها عن التاريخ الحديث للشرق الأوسط. وقد شغل قبل ذلك منصب محرر في صحيفة المونيتور، نبض إيران، وأيضاً كباحث في شؤون إيران لمجموعة أكسفورد ريسيرش جروب، وكزميل تدريس في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن.

تتكون اهتماماته البحثية من التاريخ الفكري والسياسي الإيراني في القرن العشرين، وعلى وجه الخصوص التاريخ الإيراني بعد الثورة، والجماعات والأحزاب الدينية الإيرانية، والإسلام السياسي الشيعي؛ الأئمة الشيعة، والسياسة الخارجية لإيران في المنطقة.

وقد نشر مقالات في مجلات محكمة، كما يقدم تحليلاً للأحداث الجارية حول القضايا السياسية والدينية الإيرانية في السياسة الخارجية لقناة الجزيرة الإنجليزية، والجارديان، والمونيتور، والمجلة البريطانية للدراسات الشرق أوسطية، ومؤسسة كارنيغي للسلام الدولي - صدى، لوب لوغ، إيران واير، إي-إنترناشونال ريليشونز، بي بي إس فرونت لاين: كتب طهران، من بين آخرين.

نبذة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسس مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عام ١٤٠٣هـ ومقرّه الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية. ويقوم المركز بنشاطات عدّة، منها: المحاضرات والندوات والمؤتمرات وحلقات النقاش، كما يحتضن مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل، والباحثين الزائرين. وحيث إن أساس العمل بالمركز هو البحث العلمي فقد تم إنشاء إدارة البحوث عام ١٤٣٤هـ للقيام بتحليلات متعمقة حول القضايا السياسية المعاصرة، والدراسات السعودية والإقليمية، ودراسات اللغة العربية والحداثة. كما يقوم المركز بالتعاون مع مراكز الأبحاث الأخرى حول العالم في مجال تخصصه.

ويهدف المركز إلى أن يكون مصدر إشعاع للإنسانية تحقيقاً لتصوّر الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، وذلك عبر القيام بالبحوث والدراسات، وحفز الأنشطة الثقافية والعلمية إلى ما يخدم البشرية، ويثري الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، ويمثل بوابة وجسراً للتواصل شرقاً وغرباً.

ويترأس مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، وأمينه العام الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد.

